وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة

كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

عنوان المذكرة:

السياسة الداخلية و الخارجية للسلطان المغربي

محمد بن عبد الله العلوي (1757 – 1790م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في العلوم الإنسانية و الإجتماعية

تخصص: تاريخ حديث ومعاصر

من إعداد الطالبتين:

✓ بن عزة أمال

✓ بلوة فوزية

إشراف الأستاذ:

– عمريوي فهيمة

السنة الجامعية: 2017 – 2018م

شكـــر وتقديـــر

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب

ووفقنا إلى انجاز هذا العمل

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على انجاز هذا العمل و تذليل ما واجهناه من صعوبات، ونخص بالذكر الأستاذة المشرفة عمريوي فهيمة التي لم تبخل علينا بتوجيهاتها ونصائحها القيمة التي كانت عونا لنا في إتمام هذا البحث كما نتقدم بالشكر الجزيل الى كل من زرع التفاؤل في دربنا وقدم لنا تسهيلات والمعلومات فلهم كل الشكر ونخص منهم الأساتذة : فكاير عبد القادر، بلعريبي نور الدين وبن يغزر والأستاذ بعارسية ، وكل أساتذة التخصص الذين كانوا عونا لنا في بحثنا .

إهداء

بعد بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

الحمد لله أحمده وأستعين به

اهدي هذا العمل إلى من قال الله فيهما" ولا تقل لهما أف ولا تنهر هما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا"

الى من حملتني وهن على وهن منبع الحنان ومعنى الحب والتفاني أمي الحبيبة حفظك الله ورعاك وجعلك نورا في دربي

إلى من تكبد شقاء الحياة ضحى من أجلنا وسهل الدرب أمامي وكرس حياته ليرى ثمرة جهدي أبي الغالي أطال الله في عمره

إلى الأغصان التي تفرعت من أصل طيب إخوتي وأخواتي فهيمة ياسين مُحَمَّد مصعب فدوى وإلى الكتكوتين البريئين اسحاق وأسيل

إلى زوجي الفاضل الذي كان سندا لي

إلى التي تحلو بالإخاء وتميزت بالوفاء والعطاء صديقتي فوزية التي رفقتني في هذه المسيرة

وإلى جميع أفراد عائلتي وصديقاتي

أهدي ثمرة عملي هذا

أمـــال

إهـداء

"وقل اعملوا فسيرى الله عملكم والله والمؤمنون"

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك الله جلا جلاله

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا مُحَمَّد ﷺ

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار وعلمني العطاء بدون انتظار إلى من أحمل اسمه بكل افتخار أرجوا من الله أن يمد في عمره لترى ثمار قد حان قطافها بعد طوال انتظار وستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها في الغد وإلى الأبد والدي العزيز

إلى ملاكي في الحياة ومعنى الحب والحنان وبسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب أمي الحبيبة

إلى من عاشرتهم الدهر كله ومن تربطني بهم علاقة حب وحنان أخواتي فاطمة الزهراء وخولة وأخي حبيبي الغالي مُحَمَّد أمين ومحبوبا قلبي أسيل ونذير

إلى كل أفراد عائلة (بلوة- واعر-قلوش)

وإلى أعز رفيقاتي ياسمين ودعاء عائشة ، وإلى صديقتي وأختي التي لم تلدها أمي التي شاركتني هذا العمل بكل احترام وتواضع

وإلى كل من تذكره قلبي ولم يكتبه قلمي

أهدي ثمرة عملي

فـوزيـة

قائمة المختصرات:

الرمز	المعنى
ص	صفحة
ص ص	صفحات متلاحقة
ط	طبعة
د ت	دون تاريخ
د د ن	دون دار نشر
ج	جزء
تح	تحقيق
تع	تعليق
در	دراسة
تر	ترجمة
صح	صححه
تق	تقديم
كلم	كيلو متر
ع	عدد

مقدمة

شهد المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن السابع عشر نهاية الدولة السعدية وبروز قوة سياسة جديدة هي الدولة العلوية، التي تعاقب على حكمها عدد من الملوك العلوين كان لهم دور في ضمان بقائها واستمرارها وتبوئها مكانة هامة بين الدول، بلغت ذروتها في عهد المولى اسماعيل الذي تمكن من إقرار السلم وتثبيت أركان الدولة المركزية، غير أنه بمجرد وفاته عرفت هذه الدولة صراعا خطيرا قضى على كل ما قام به هذا الأخير من إنجازات، نتج عن تنافس حاد بن الأمراء وصراع كبير حول السلطة، مما أدخل البلاد في عهد من الفوضى وعدم الاستقرار السياسي الذي خلفته المشاحنة والمواجهات القائمة بين هؤلاء الأمراء، امتد إلى غاية النصف الثاني من القرن الثامن عشر بتولي السلطان محمد بن عبد الله مقاليد الحكم الذي حاول تغيير واقع المغرب الأقصى، وتوطيد ثوابت الدولة وتوحيدها بعد التفكك والسعي إلى تحقيق النظام وتقوية السَلطة المركزية، من خلال التفكير الجدي في وضع مخططات إصلاحية شملت جميع أجهزة المخزن العسكرية والاقتصادية والإدارية والعلمية التي تمكنه من التحكم في زمام الأمور، ومعرفة سيرورتها والتصدي لكل التحديات الداخلية والخارجية، كما انتهج سياسة خاصة في علاقاته الخارجية محاولا النهوض بالبلاد وإكسابها مكانة دولية حتى تكون قادرة على حماية نفسها من الأخطار الخارجية.

أسباب اختيار الموضوع:

ونتيجة لأهمية الموضوع ارتأينا تركيز الدراسة حول مرحلة ما بعد المولى اسماعيل في دراسة عنوانها:

السياسة الداخلية والخارجية للمولى محمد بن عبد الله العلوي (1757 . 1790م)

تم اختيار هذا الموضوع بتوجيه من الأساتذة المتخصصين في هذا المجال، ورغبة منا في الاطلاع على بعض الجوانب المتعلقة بتاريخ المغرب الأقصى في هذه المرحلة، باعتبار الموضوع حلقة مهمة في تاريخ الدولة العلوية، التي تسعى للكشف عن طبيعة حكم

المولى محمد بن عبد الله العلوي ومميزاته، وكذا امتدادا لسلسلة البحوث في التعرف وتتبع سيرة السلاطين العلوين ورصد أخبارهم.

كما أننا أردنا تسليط الضوء على الأوضاع الداخلية والخارجية والكشف عن سيرورة التحديث التي مر بها المجتمع وأفاق التغير من خلال إبراز مجهود المولى محمد بن عبد الله طيلة ثلاثة وثلاثين سنة.

الإشكالية:

بعد القراءة الأولية والتعرف على الموضوع تم وضع الإشكالية التالية والتي ضبطت في نهاية البحث بصيغة:

إلى أي حدّ تمكن السلطان محمد بن عبد الله من الاستجابة للتحديات الداخلية والخارجية التي عاصرت فترة حكمه؟

وتتفرع هذه الإشكالية إلى عدة تساؤلات كالآتي:

- هل استطاع السلطان محمد بن عبد الله إعادة الوحدة والاستقرار للبلاد من خلال السياسة التي اتبعها داخليا وخارجيا؟
- ماهي أهم المخططات الاستراتيجية التي انتهجها لإرساء ركائز الدولة المغربية المهددة بالتمزق السياسي؟
- هل رافق سياسة السلطان محمد نهضة إصلاحية مست الجوانب الثقافية والاقتصادية والإدارية؟
- ماهي أهم خصائص سياسته اتجاه الدول الإسلامية والدول الأوروبية؟

وللإجابة على هذه الإشكالية وضعنا خطة بحث تضمنت مقدمة وثلاث فصول رئيسية حيث قمنا في المقدمة بالتعريف بموضوع البحث وتحديد الإطارين الزماني والمكاني ودوافع اختياره وكذا المنهج المعتمد، ثم أهم الصعوبات التي واجهتنا أثناء البحث، وفي الأخير عرضنا أهم المصادر والمراجع التي ساعدتنا في إنجازه.

تناولنا في الفصل الأول الذي يندرج تحته مبحثين دراسة الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمغرب الأقصى قبل توليته الحكم، وتطرقنا في المبحث الثاني إلى إبراز ملامح شخصية المولى محمد وتكوينه السياسي من خلال خلافته على مراكش، التي أهلته لتولي الحكم في المغرب الأقصى فيما بعد.

أما فيما يخص الفصل الثاني الذي كان تحت عنوان السياسة الداخلية للمولى محمد بن عبد لله ينقسم إلى ثلاث مباحث، تعرضنا في المبحث الأول إلى أهم الإنجازات التي قام بها في المجال العسكري من تنظيم للجيش ومحاولة تقوية الأسطول للتصدي للأخطار الداخلية والخارجية، أما المبحث الثاني فسعينا من خلاله إلى إبراز خصائص الإصلاحات الإدارية والاقتصادية التي قام بها السلطان محمد، أما المبحث الثالث حاولنا فيه التطرق إلى ملامح التغير والتجديد التي قام بها السلطان في الجانب الثقافي من خلال الإصلاحات التي قام بها في مجال التعليم والدين والعمران.

الفصل الثالث الذي عنوناه بالسياسة الخارجية للمولى محمد بن عبد الله تطرقنا فيه إلى علاقاته مع الدول الأوروبية على رأسها اسبانيا انجلترا، فرنسا، السويد، الدانمارك، وكذا الولايات المتحدة الأمريكية ضمن المبحث الأول، في حين تعرضنا في المبحث الثاني من هذا الفصل إلى علاقاته مع الدول الإسلامية بما فيها الدولة العثمانية وإيالاتها في شمال إفريقيا.

ختمنا هذا البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها كما دعمناه ببعض الملاحق.

اتبعنا في هذه الدراسة المنهج التاريخي الوصفي لرصد المعلومات التاريخية وترتيبها وتصنيفها، حسب الأحداث التاريخية كما اعتمدنا على المنهج التحليلي لإبراز تلك الوقائع في تتبع مسار الإصلاحات التي قام بها المولى محمد بن عبد الله، وفي علاقته مع الدول

الخارجية سواء مع العالم الإسلامي أو الأوربي، سعيا منا الإجابة على الإشكالية التي طرحناها.

اعتمدنا في هذه الدراسة على جملة من المصادر والمراجع نذكر منها:

ترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب لأبي القاسم الزياني، ويعد من أهم المصادر التي تؤرخ للدولة العلوية فقد خص فيه بالذكر كل ملوك الدولة العلوية وتناول فيه مراحل حكمهم وما يتبع ذلك من أحداث اجتماعية وسياسية، واستفدنا منه فيما يخص مرحلة محمد بن عبد الله عند توليه الخلافة على مراكش قبل أن يكون سلطان على المغرب، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني لمحمد بن الطيب القادري تحقيق محمد حجي ومحمد توفيق، الجزء الثالث يسير الكتاب على نظام السنوات ابتداء من القرن السابع عشر ميلادي، يزودنا ببعض المعلومات وكذا ترجمة للشخصيات المغربية لهذه الفترة، استسقينا منه بعض المعلومات المتعلقة بالجانب الاقتصادي خلال سنوات الأزمة، كما اعتمدنا على كتاب تاريخ الدولة العلوية السعيدة لمحمد الضعيف الرباطي، قسم هذا الكتاب إلى ثمانية أبواب بداية بالحديث عن الدولة العلوية وأنهاه بأخبار السلطان سليمان، أفادنا في التعريف بشخصية المولى محمد بن عبد الله.

إضافة إلى عدة مراجع منهاالتاريخ الدبلوماسي للمغرب لعبد الهادي التازي في عشر مجلدات، وقد اقتصرنا على المجلد التاسع للعلويين فقد تطرق إلى علاقات السلاطين العلوين الخارجية من ضمنها الدول الأوروبية، وقد استسقينا منه معلومات مفيدة ومميزة فيما يتعلق بطبيعة علاقات السلطان محمد الثالث بهذه الدول وأهم السفارات المتبادلة بينهم، بالإضافة إلى الجزء الثالث من كتاب المغرب عبر التاريخ لإبراهيم حركات، الذي زودنا بمعلومات هامة عن الوضع السياسي للمغرب بعد وفاة المولى اسماعيل، وكذا أهم الثورات التي قامت في عهد السلطان محمد بن عبد الله، وكذا كتاب تاريخ الأوبئة والمجاعات في القرنين الثامن

عشر والتاسع عشر لمحمد الأمين البزاز، الذي استفدنا منه في المجال الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الأقصى قبل وأثناء تولي المولى محمد بن عبد الله الحكم.

أما الصعوبات التي واجهتنا أثناء إنجازنا لهذا البحث نذكر منها:

- ضيق المدة الزمنية لإنجاز هذه المذكرة.
- قلة الدراسات عن بعض الجوانب المتعلقة بالموضوع كالأوضاع الاقتصادية قبل وفي عهد السلطان محمد بن عبد الله.
- تنوعت المصادر التي تناولت الموضوع ولكنها تتناول نفس الأفكار والأحداث التي طغى عليها الجانب السياسي.
- قلة المصادر المطبوعة المتخصصة في تاريخ المغرب الأقصى الحديث مما جعلنا نعتمد على الكتب الإلكترونية.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة عمريوي فهيمة على صبرها الطويل، وإرشاداتها وتوجيهاتها التي أثرت هذا البحث، كما نشكر كل الأساتذة الذين ساعدونا في إنجازه وكل من قدم لنا يد العون من قريب أو بعيد.

الفصل الأول

ظروف المغرب الأقصى قبل تولية محمد بن عبد الله الحكم

المبحث الأول : الأوضاع في المغرب الأقصى قبل تولية محمد بن عبد الله الحكم.

المبحث الثاني : تولية محمد بن عبد الله الحكم

شهد المغرب الأقصى عقب وفاة المولى اسماعيل، مرحلة جديدة من مراحل الحكم العلوي تميزت بتطاحن الأمراء على السلطة وتدخل الجيش في الحكم، مما أدخلها في حالة من الفوضى والاضطراب دامت ثلاثين سنة (1728-1757م) تزعزع من خلالها الكيان السياسي للدولة العلوية[1] واختلت فيها موازين الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية للبلاد، ولم تستقر الأوضاع إلا بتولي محمد بن عبد الله الحكم الذي سعى جاهدا للقضاء على الفتن الداخلية واحلال الامن والاستقرار من جديد.

المبحث الأول: أوضاع المغرب الأقصى قبل تولي محمد بن عبد الله العلوي الحكم.

1-سياسيا

اضطربت الأوضاع السياسية للمغرب إثر وفاة المولى اسماعيل[2] بسبب تنازع أبناؤه على الملك وتدخل جيش عبيد البخارى[3] في شؤون الحكم، فهذا الجيش الذي كان يعتمد عليه المولى اسماعيل في تثبيت دعائم الحكم المركزي وإحلال الأمن سرعان ما أصبح بعد وفاته أداة لبث الفتن وتفكيك السلطة واضعافها، إذ أخذو يتدخلون في تولية السلاطين وعزلهم[4] تحركهم في ذلك الاغراءات والمصالح المادية، وازدادت الأزمة حدة بتدخل القبائل العربية

1- ينتسب العلويون إلى جدهم علي الشريف الذي ينحدر من سلالة علي بن أبي طالب وقدم أجدادهم إلى المغرب من (ينْبغ) بالحجاز، واستقروا بسجلماسة بتا فيلات ومن هناك تهيأوا للإقامة دولتهم التي تعتبر الدولة الثالثة في المغرب من حيث نسبها الشريف فالأدارسة والسعديون والعلويون كلهم أشراف. ينظر : محمد الأمين محمد، محمد علي الرحماني، **المغرب في تاريخ المغرب**، د ط، دار الكتاب، الدار البيضاء، د ت، ص 212.

2-هو اسماعيل بن الشريف العلوي بويع بمكناس عام 1672م من مآثره استرجاع عدة مدن كانت في يد الإسبان والبرتغال منها (طنجة، عرائش، أصيلا، المهدية) توفي سنة 1727م ودفن بروضة الشيخ عبد الرحمان المجذوب بمكناسة الزيتونة. ينظر: محمد الصغير اليفرني، **روضة التعريف بمفاخر مولنا اسماعيل بن الشريف ومن تقدمها من مولوك الدول الإسلامية**، تح عبد الوهاب بن المنصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1995م، ص18.

3 -عرف الجيش هذا الاسم نسبة إلى صحيح البخارى، اذ أنّ السلطان اسماعيل عندما قام بجمع الجيش أمر بإحضار نسخة من صحيح البخارى وطلب من هؤلاء أن يعاهدوه على اتباع ما امر به الله ورسوله وترك ما نهى عنة الله ورسوله فعهدوه على ذلك. ينظر كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، تر نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي، دار العلم للملاين بيروت،1974م، ص 631.

4- دلندة الأرقش وآخرون، **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، دط، مركز النشر الجامعي ميدياكوم،2013م، ص 30.

والبربرية التي كان لها دور خطير في هذا الصراع بمساندتها لهذا الطرف أو ذلك من الأمراء المتنازعين على الحكم أو القائمين به[1].

وقد عرفت هذه الفترة من تاريخ المغرب الأقصى بأزمة الثلاثين سنة تعاقب خلالها على الحكم سلسلة من السلاطين، ومنهم المولى عبد الله بن اسماعيل الذي اعتلى الحكم العلوي ستة مرات[2]، وقد جرى تعينه سلطانا لأول مرة سنة 1729م من طرف جيش العبيد والوديا[3]، ومن تبعهم من الأعيان والعلماء بعد هلاك أخويه أحمد الذهبي[4] وعبد الملك[5]، واستهل المولى عبد الله عهده بسلسلة من الإجراءات العنيفة لاسيما ضد أهل فاس الذين حرمهم من مستحقاتهم ورواتبهم.

كما سعى إلى مصادرة البساتين التابعة لهم، ما دفعهم إلى العصيان والتراجع عن بيعته وذلك بإغلاق أبواب المدينة فعمد السلطان إلى محاصرة المدينة لمدة خمسة أشهر قام خلالها بتخريب كل ما كان في أطرافها من بساتين وتهديم أسوارها، وقد أدى هذا الحصار الى تعرض المدينة الى مجاعة شديدة أجبرت سكان فاس على الاستسلام والرضوخ لأوامر السلطان بعد مقاومة مستميتة[6].

---

[1]–صلاح العقاد، **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، الجزائر. تونس والمغرب الأقصى**، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، ص 68.

2– عبد العزيز بن عبد الله، **تاريخ المغرب العصر الحديث الفترة المعاصرة**، ج2، د ط، مكتبة السلام ومكتبة المعارف، الدار البيضاء، الرباط، د ت، ص 27.

[3]– جيش الوديا هو جيش البيض أو الكيش كان يضم من القبائل المخلصة للعلوين وكان معظمهم من عرب معقل الذين استوطنوا الصحراء وكان الجيش يشكل النواة الأولى للجيش النظامي. ينظر: عبد الحق المريني، **الجيش المغربي عبر التاريخ**، ط3، دار النشر للمعرفة، الرباط، 1997م، ص ص، 187.

4 – هو أبو العباس أحمد بن اسماعيل العلوي تولى عدة مناصب سياسية قبل تولية السلطة كاستخلاف على إقليم تادلا من طرف والده المولى اسماعيل ، تم اختياره من طرف جيش عبيد البخارى بعد وفاة والده توفي عام 1729م. ينظر: عبد الرحمان بن زيدان، **أتحاف أعلام الناس بجمال حظيرة مكناس**، تح، علي عمر، ج1، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م، ص ص، 340– 341.

5 –هو أبو مروان عبد الملك بن اسماعيل بويع بعد وفاة والده بمدينة تارودانت دخل في عدة حروب وصراعات مع أخيه أحمد الذهبي. ينظر: محمد الضعيف الرباطي، **تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)**، تح وتع وتق،أحمد العماري، دار المؤثورات، الرباط، المغرب، 1986م، ص108.

6 – أبو العباس الناصري، الاستقصاء لأخبار **دول المغرب الأقصى للدولة العلوية**، ج7، تح و تع جعفر الناصري ومحمد الناصري، ط1، دار لبيضاء، 1997، ص 132.

فتعاقب بعد ذلك عدد من الولاة على فاس أساؤا بتصرفاتهم إلى السكان ومثال ذلك إقدام العامل حمدون الروسي على هدم أبواب المدينة[1]، التي كانت بمثابة حصن يحتمي خلفه هؤلاء أثناء تمرداتهم على السلطة المركزية، كما شرع سنة 1731م في تهديم أسوار المدينة ونقل أنقاضها إلى فاس الجديدة وذلك قبل أن يقوم السلطان بعزله، وتولية كاتبه الطيب بن جلول بدل منه[2].

كما فرض على أهل المدينة العديد من الضرائب والغرامات المالية التي أرهقت كهولهم واعتقل الكثيرون من اللذين امتنعوا عن الدفع ، وفي ظل هذه الظروف ما كان على أهل فاس إلا الفرار نحو مختلف البلدان الإسلامية مثل تونس ومصر والسودان[3]، وبعد ذلك ركز المولى عبد الله اهتمامه على كسر شوكة جيش عبيد البخارى والوديا الذين استفحل خطرهم ولما كان يعتقد أن طغيانهم هو ما أصبحوا عليه من ترف وما توفر لديهم من ثروات حتى أخذوا يتنافسون في بناء القصور وزخرفتها[4]، قرر تهديم مدينة الرياض التي كانت تضم أثار ومنازل كبار القواد والعمال والكتاب وجميع أعيان وموظفي الدولة الإسماعلية إلى جانب أخواله الوداية وقد أشرف بنفسه على عملية التهديم، فأصبحت المدينة عبارة عن حطام من تراب بعد أن كانت أحسن مدن مكناسة وأجملها[5].

ولم تقف سياسة المولى عبد الله هذه على العبيد والوديا فقط بل شملت أيضا بعض القبائل العربية والبربرية، إذ قام بإعدام أحد زعماء هذه القبائل مع ثلاثمائة شخص كانوا تحت إمرته كما أعدم العديد من مجاهدي الريف الذين قصدوه من طنجة بهدية من قائدهم"

---

[1] – وهي: باب العجيسة، باب المحروق، باب الجديد، باب الفتح، باب بني مسافر. بنظر: الناصري، نفسه.

[2]–عبد الرحمان بن زيدان، **الإتحاف**، مصدر سابق، ص ص 459–460.

[3]–أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي، **الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي**، تق وتح و تع أحمد بن يوسف الكنسوسي، د ط، ددن، د ت، ص ص 171–172.

[4]–عبد الكريم الفيلالي، **التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير**، ج4، ط1، شركة ناس للطباعة، القاهرة، 2006م، ص 295.

[5]–أبو القاسم الزياني، **البستان الظريف في ذكر أولاد مولانا الشريف** (من النشأة إلى نهاية سيدي محمد بن عبد الله)، د وتح رشيد الزاوية، د ط، مركز الدارسات والبحوث العلوية الريصاني، المغرب، ص 295.

أحمد باشا الريفي"[1]، وهو ما أثار نقمه هذا الأخير مما سيؤدي به الى التمرد على السلطان لاحقا، ثم أمر بقتل حولي مائتين شخص من قبائل "حجاوة" بحجة قطعهم الطريق[2].

وفي سنة 1733م، استغل المولى عبد الله فرصة انهزام جيش عبيد البخارى أمام قبيلة "آيت أمالو"[3] ليعدم أزيد من مئة ألف من العبيد انتقاما لمقتل أخيه عبد الملك، غير أن هذه الأحداث ستتكتل جميعها لتؤدي بالعبيد إلى الثورة على السلطان عبد الله والتآمر على قتله بعدما توجسوا فيه رغبتا في تقليص نفوذهم والقضاء عليهم وقد تزعم هذه الخطة "سالم الدكالي"[4]، مما أجبره على الفرار من مكناسة وذلك سنة 1734م، أين نزل بواد نوال واستقر عند اخواله المغافرة[5] وكانت مدة حكمه هذه خمسة أعوام وثمانية أشهر ونصف واستغرقت مدة إقامته بواد نوال ثلاث أعوام[6].

عرفت البلاد خلالها ذلك عودة إلى استبداد العبيد أكثر مما كانوا عليه في ضل حكم علي الأعرج الذي تم تنصيبه بدلا من عبد الله الذي عجز عن دفع رواتب الجيش وإرضاء متطلباته فألقى القبض على خناثة بنت بكار والدة السلطان عبد الله لإرغامها للتصريح بما لديها من مال وما تعرفه من أموال ولدها[7]، كما ساءت العلاقة بينه وبين أهل فاس الذين

---

[1]–كان عاملا على المغرب بعد وفاة أبيه القائد علي بن عبد الله لعب دورا طلائعيا في القرن الثامن عشر ميلادي كإداري ورئيس الدبلوماسية، قتل أثناء الحروب التي دارت بين المولى المستضيء والمولى عبد الله عام 1742م. ينظر: عبد الكريم بن موسى الريفي، زهر الأكم، **مساهمة في تاريخ الدولة العلوية من النشأة إلى عهد المولى عبد الله بن المولى إسماعيل**، در و تح آسية بن عداده، د ط، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، د ت، ص 151.

[2] –الفيلالي، المرجع السابق، ص 295.

[3]–بطن من بطون صنهاجة وهم سكان السفح الشمالي للأطلس المتوسط. ينظر: محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعّد بعض مفاخرها غير المتناهية**، در و تح إدريس بوهليلة، ج2، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2005م، ص 167. وينظر: الرّيفي، المصدر السابق، ص231.

[4]–هو أحد رؤساء العبيد، الذين كان لهم دور رئيسي في الأحداث السياسية والعسكرية منذ وفاة المولى اسماعيل قتله المولى عبد الله عند بيعته الثانية سنة 1736م و ذلك لمناصرته محمد بن عربية. ينظر: الناصري،ج7، مصدر سابق، ص 142.

[5] –الفيلالي، المرجع السابق، ص 297.

[6]–ابن زيدان، **الأتحاف**، المصدر السابق، ص 467.

[7]–ابراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية**، ج3،ط2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1994م، ص 70.

خرجوا عن طاعته لما بدر من عامله "مسعود الروسي" الذي قتل أحد قادتهم واستمرت الأوضاع عل هذا الحال إلى أن تدخل للصلح بينهما أحد قواد الجيش وهو "عبد الله الحمّري" الذي ولاه عليهم[1]

وباستقرار الأمور في هذي الناحية جهز علي الأعرج حملة ضد آيت أمالوا بضغط من قواد الجيش الذين كانوا مصرين على التآمر للهزيمة التي الحقت بهم على يد برابرة هذه القبيلة في زمن السلطان عبد الله، ولكن العبيد انهزموا مرة ثانية وعاد السلطان إلى مكناس حيث نفذت مدخرات الخزينة ولم يبقى بيده ما يقدمه للجيش[2]

وعلى هذا الأساس قام الجيش بخلعه وتنصيب المولى عبد الله من جديد الذي ظهر بتادلا[3] سنة 1736م، لكن سالم الدكالي الذي كان سبب خلعه في المرة الأولى خالفهم في ذلك وصار يدعوا بتنصيب "محمد بن اسماعيل" المعروف بابن عربية الذي أتى هو الأخر من تافيلالت، لكن بوصوله إلى صفروا وجد البيعة الثالثة للمولى عبد الله قد تمت، كما ألقي القبض على سالم الدكالي وتم قتله بأمر من السلطان وبعدها ارتحل السلطان عبد الله إلى قصبة أبي فكران، أين قصده وفدين من مدينة فاس ومكناس فقتل بعض أعيانها وعزل قاضي مدينة مكناس أبي القاسم العميري[4]، وعين محمد علي ويشو على مدينة فاس، التي تدهورت أوضاعها بفعل عمليات النهب والسلب التي كانت تتعرض لها من طرف الوديا وهو ما دفع السكان بتأييد من جيش عبيد البخارى إلى استبعاد المولى عبد الله عن الحكم من جديد.

فتولى الحكم بعده أخاه محمد بن عربية سنة 1737م، وقد شهدت فترة حكمه هو الاخر هو تدهور الأوضاع أكثر مما كانت عليه، اذ ازداد طغيان جيش عبيد البخارى الذين

---

[1] – الفيلالي، المرجع السابق، ص 300.

[2] –الزياني، **الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب**، د ط، المطبعة الجمهورية، باريس، 1886م، ص 423.

[3]–تحتل تدلا المنطقة الواقعة شرقي الشاوية المنحدرة قليلا إلى المجرى الأعلى لنهر أم الربيع ويحد هذه الهضبة من الجنوب جبال الأطلس المتوسط ومن الشمال سلسلة من جبال أخرى أقل ارتفاع. ينظر: عبد الرحمان ابن زيدان، العز و الصولة في **معالم نظام الدولة**، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، 1961م، ص 156.

[4]– الفيلالي، المرجع السابق، ص 302.

امتهنوا حرفة النهب والسلب في ممتلكات الناس وأرزاقهم، إلى جانب ذلك تكررت حملات السلطان عبد الله على مدينة مكناس والتي تمكن خلالها من قتل عدد كبير من الجنود[1].

كما كثرت في عهد المولى محمد بن عربية الثورات وأصبح المغرب الأقصى مقسم إلى عدة مناطق حيث استولى أخوه عبد الله على الصحراء والسوس ومراكش، بينما سيطر "الحوات" في الرمل على العبيد وعلى بني مالك وسفيان وإطليق والخلط، واستولى الباشا أحمد ين علي الريفي على الفحص وبلاد غمارة كلها ومدينة تطوان والقصر وبلاد الريف وقارت وجبالها في حين استولى القائد "محمد القعيدي اليازغي" على بني يازاغة ، واستقر المولى محمد بن عربية في الحكم مدة سنة وثمانية أشهر إلى أن عزل من طرف العبيد وبويع مكانه أخاه "المستضيء" في سنة 1738م[2].

غير أن الأوضاع خلال فترة حكمه لم تختلف كثيرا عن الأوضاع في عهد سابقيه من السلاطين اذ تواصلت الفتن والاضطرابات السياسية خلال هذه الفترة حتى انتهت إلى الشمال فقد قام المستضيء بتحريض من الباشا أحمد الريفي عامل طنجة بشن حملة على تطوان حيث نهب المدينة وقتل عدد من أعيانها وحطم أسوارها، كما فرض على أهلها غرامات مالية[3] وعندما لم يجد المولى المستضيء ما يسدد به متطلبات الجيش شرع في بيع مدخرات خزائن القصور الإسماعلية من كبريت وملح وبارود والحديد ثم ضرب نحاس المدافع نقودا لكن ذلك لم يجدي نفعا إذ سرعان ما أزاحه الجيش عن الحكم سنة 1739م[4].

إثر ذلك قام الجيش بمبايعة المولى عبد الذي كان متواجد في قصبة ألزم للمرة الثالثة وخلال ذلك تولى العبيد إدارة مكناس وفاس، وما إن نزل بمكناس حتى قام بإلقاء القبض على قضاتها وفقهائها واعتقل الخطباء الذين خطبوا باسم المستضيء، ثم سمح للجيش بنهب

---

[1]– حركات، المرجع السابق، ص ص 71–72.

[2] – الريفي، المصدر السابق، ص ص 246– 247.

[3] – الزياني، **الترجمان المعرب**، المصدر السابق، ص ص 46– 47.

[4]– نجيب زبيب، **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس**، تق أحمد بن سودة، ط1، دار الأمير، بيروت، لبان، 1990م، ص 126.

المدينة فاستحوذوا على كل ماطلته أيديهم من أموال الناس وممتلكاتهم باسم السلطان[1] ، وقد تخلف على بيعة المولى كل من الوديا وأحمد الريفي فأما الوديا فقد توسطت والدته "خناثة بنت بكار" للصلح بينه وبينهم وأما أحمد الريفي فقد أعلن عصيانه على المولى عبد الله .

ولما كان سكان مكناس أقل ولاء للمولى عبد الله بعد ما أصابهم من محن على يد جيش البخارى، فقد استطاع أحمد الريفي من كسب تأييدهم بشأن خلعه وتنصيب أخيه زين العابدين كما تمكن من إقناع الجيش الذي جذبه الى صفه مستغلا في ذلك الضرر الذي لحق بمصالحه، وهذا ما جرى بالفعل عام 1741م[2]، إلا أن فترة حكم زين العابدين لم تدم طويلا بسب نفاذ المال الذي كان يملكه فلم يجد ما يدفعه للجيش، وفي غضون ذلك تقدم المولى عبد الله إلى فاس التي تلقاه أهلها مع الودايا بالترحاب وتلقى بدارالدبيبغ بيعة جيش عبيد البخارى في سنة 1741م[3]، وانسحب زين العابدين من الساحة السياسية في الوقت الذي بدأت فيه مرحلة جديدة من الاضطرابات والمؤامرات حيث أن جيش العبيد وعلى رأسهم أحمد الريفي ما لبثوا أن ثاروا مرة أخرى على المولى عبد الله وأرسلوا في طلب المستضيء من مراكش معلنين بيعتهم له في عام 1741م.

وبذلك انقسمت السلطة في المغرب الأقصى بين كل من السلطان عبد الله ومعه أهل فاس والوديا والبربر والحياينة[4] وأهل المغرب وبين المستضيء الذي كان بجانبه الريفي وبني حسن وأهل مراكش ونواحيها، فتحرك المستضيء والريفي إلى فاس أين دارت الحرب بينه وبين عبد الله وأنصاره التي انتهت بغلبة هذا الأخير غير أن الريفي أعاد الكرة فالتقى الطرفان

---

[1]– الناصري، المصدر السابق، ص 152.

[2]–حركات، المرجع السابق، ص 75.

[3]– نجيب زبيب، المرجع السابق، ص 127.

[4]– هي قبيلة عربية كبرى مستقرة حول الجديدة وأزمور بين قبائل الشاوية والرحامنة وحمير وعبدة يزيد عدد أهلها 4000 ألف نسمة تشمل على عمارات أولاد بوعزيز، وأولاد فرج عبد الغني وأولاد درج الشهب و الشياظمة، ومن أشهر مدنها و مراكزها الجديدة وأزمور و زاوية سيدي اسماعيل وزاوية مولاي عبد الله. ينظر: ابن زيدان، **العز و الصولة**، المصدر السابق، ص 153.

بدار أبي العباس لكنّ الريفي انهزم مرة ثانية في هذه المعركة[1] التي قتل فيها واستولى المولى عبد الله على أمواله وذخائره في طنجة وهناك تمت مبايعته من قبل السواحل والجبال، وحاول المستضيء أن يستعيد الحكم من جديد فاعترض طريقه المولى عبد الله أثناء عودته من طنجة ولكنّه هزم مع أنصاره من بني الحسن والعبيد فعزله الجند وبايعوا المولى عبد الله بفاس ففر المستضيء إلى دكالة، وقد تعقبه السلطان واستمر على حربه سنين وبعدها سمح له الاستقرار في مراكش، ثم بايع أهل الحوز[2] المولى عبد الله فخلف ولده محمد بمراكش ورجع إلى الغرب سنة 1743م، وقد أقام في دار الدبيبغ إلى غاية وفاته بها عام 1757م[3].

وهكذا ضلت الحياة السياسية في المغرب في اضطراب دائم طوال ثلاثين سنة أمام اعتلاء سلاطين ضعاف الشخصية الحكم لم يحاولوا القيام بأي عمل من شأنه إصلاح الوضع سوى التنافس والصراع فيما بينهم، وتدخل جيش قوي في دواليب الحكم لم يكن يهمه الا تحقيق مصالحه المادية.

فرغم نجاح سبعة سلاطين في الوصول إلى السلطة إلا أنه لم تكن لأي منهم مبادرة جدية أو أي محاولة للإيجاد حل يمكن بواسطته الوصول إلى توفيق سياسي لتثبيت ركائز الحكم وبناء الدولة ،حيث ثار كل واحد منهم على الأخر، ونشر الفساد في البلاد من قتل للناس واستنزاف أموالهم، كما أن كل سلطان منهم لم يصل إلى الحكم إلا بالقوة تحت ضغط جيش العبيد[4] مما زاد في حدة الأزمة التي كان لها أثار وخيمة على الحياة الإقتصادية والاجتماعية للمجتمع المغربي.

---

[1] – أبي القاسم الزياني، **جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت اللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ السلطان المولى سليمان**، تق و تح عبد المجيد خيالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م، ص 112.

[2] –كانت كلمة الحوز تطلق على البسيط الممتد من جنوب مدينة الرباط إلى مدينة مراكش المعروف ببسيط تامنسا، أما اليوم فلا تطلق الحوز عرفا إلا على البسيط الممتد بين وادي أم الربيع وسفوح جبال الأطلس الكبير، ينظر: ابن زيدان، **العز و الصولة**، مصدر سابق، ص 154.

[3]–الزياني، **جمهرة التيجان**، المصدر السابق، ص 113.

[4]– عبد الكريم غلاب، **قراءة جديدة في التاريخ المغرب العربي**، ج 3، ط1، دار الغرب الاسلامي بيروت ، 2005م، ص 20.

2- اقتصاديا واجتماعيا

كان لاضطراب الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى وما تخللها من حروب ونزاعات خلال سنوات الأزمة أثر العميق في تدهور الأوضاع الاقتصادية وتردي الأوضاع الاجتماعية ففي خضم الحروب التي اندلعت بين ورثة المولى اسماعيل عمد هؤلاء إلى استنزاف ما في خزائن الدولة، من أموال وثروات لتوسيع نفوذهم وسلطتهم من جهة ولاسترضاء متطلبات الجيش من جهة أخرى الذي كان ولائه للسلطان الذي يعتلي العرش مرهون بما يقدهم من أموال وما يصرف لهم من مكافئات ثمينة وهو الأمر الذي انجر عنه افلاس الخزينة وتأزم الوضع المالي
للبلاد[1].

ويذكر على سبيل المثال المولى أحمد الذهبي الذي بالغ في إسراف أموال الدولة لما أغدقه من عطايا ومكافئات على رجال دولته والجيش، حتى لقب من كثرة ما أنفقه من الأموال بالذهبي إلى أن خلت خزائنه بعد عام من توليته[2]، واذا ما خلت بيوت المال وأغلقت كل السبل أمام الجيش فإنه غالبا ما كان يلجأ إلى شن عمليات النهب والسلب على أملاك الناس مما أدى إلى إفقارهم في المدن والأرياف على حد سواء، ومثال ذلك ما حدث في مدينة فاس عام 1736م التي تعرضت أسواقها إلى عمليات نهب واسعة من طرف الوديا على كل الأغنام والدواب التي وجدوها بسوق الخميس[3].

وهو ما أثر سلبا على الأوضاع المادية للسكان وزاد في تقهقر الوضع الاقتصادي لا سيما بعد لجوء السلاطين إلى أبشع الطرق والوسائل في جمع الأموال وتحصيلها، اذا ما عجزت خزائن الدولة وعجزوا عن تدبير الأمور، فقاموا بمصادرة أملاك الناس وأرزاقهم مما أثر سلبا على معيشة السكان، وبذلك ساءت الأوضاع الاقتصادية وهبطت معدلات الإنتاج

---

[1]- شوقي الجمل، **المغرب العربي الكبير(ليبيا . تونس . المغرب)**، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص 221.

[2]- نجيب زيبب، المرجع السابق، ص 109.

[3]- حركات، المرجع السابق، ص 71.

الصناعي والزراعي إلى أدنى المستويات[1]، حيث انتهج المولى عبد الله سياسة السلب والنهب ومصادرة الممتلكات لإخضاع القبائل والمدن الخارجية عن سلطته على غرار ما قام به أثناء الحصار الذي فرضه على مدينة فاس، حيث خرب ما كان في أطرافها من بساتين ومصانع ومن محاصيل زراعية، كانت تمثل مصدر رئيسي لمعيشة السكان مما أدى إلى غلاء الأسعار و قلة المؤونة واشتدت المجاعة التي ألمت بالسكان، ثم ما لبث أن أمر السلطان باعتقال أثرياء المدينة وكبار تجارها ومصادرة ممتلكاتهم وفرض غرامات مالية ضخمة على عامة الناس[2].

وفي عام 1736م، قام المولى عبد الله بتدمير الكثير من المحاصيل الزراعية بناحية تادلا والتجأ أيضا المولى محمد بن عربية إلى السطو على أملاك الناس حيث قام هذا الأخير بقتل أثرياء فاس ومكناس واستولى على أموالهم وممتلكاتهم ونهب الحبوب والمؤونة، التي كانت في منازل السكان ولم تسلم من ذلك حتى الحيوانات[3].

وقد أثر كل ذلك سلبا على النشاط الفلاحي، حيث أنّ الفلاحين الذين نهبت حبوبهم ومدخراتهم قد لا يكون لهم القدرة على تأمين البذور للسنة القادمة كما أنّ نهب البهائم التي يستحصي إخفائها ينعكس سلبا على الموسم الفلاحي القادم، ونتيجة لهذه الظروف قلة اهتمام الفلاحين بمزارعهم وأراضيهم الفلاحية التي أصبحت ميدانا للمعارك التي كانت تدور بين الأمراء والسلاطين ومجرد طرق لعبور وحدات الجيش التي تقتات المنطقة مما جعل الفلاحين يقومون بزرع ما يسدّون به حاجياتهم اليومية فقط، وقد عبر عن ذلك محمد الأمين البزاز نقلا عن رواية ابن الحاج في قوله"وترك الناس حرث الذرة على السقي لشدّة الخوف وقطع الطرق، وهاجر الفلاحين أراضيهم الزراعية إلى مناطق أخرى كانت بالنسبة لهم أكثر

---

[1]– نجيب زبيب، المرجع السابق، ص 118.

[2]– محمد بن الطيب القادري، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، تح محمد حجي، أحمد التوفيق، ج3، ط1، مكتبة الطالب، الرباط،1986م، ص 321.

[3] - محمد الأمين البزاز، **تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، د ط، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1992م، ص ص 43– 44. -

أمان من المناطق التي كانوا يقطنونها"، وقد نجم عن هذه الأوضاع بشكل عام ارتفاع في الأسعار وركود في التجارة وإفلاس الخزينة العامة للدولة[1].

وفي ظل هذه الظروف البشرية ولغياب عامل الإصلاح من طرف السلاطين سجل عامل آخر هو غياب الظروف الطبيعية الملائمة، حيث شهدت البلاد عام 1736م موجة جفاف أدت إلى قلة الإنتاج الزراعي الغذائي وهلاك الحيوانات مما أدي إلى غلاء الأسعار فمع انعدام سقوط الأمطار عرفت البلاد أزمة غذائية حادة وصلت فيها الأسعار إلى ذروتها[2]، ففي مدينة مكناس وصل ثمن القمح إلى 20 أوقية[3] وفي سلا 15 أواق، بينما وصل في فاس 80 مثقال[4] والشعير إلى ما يقرب ذلك، والزيت 25 مثقال وقد تواصلت الزيادة في أسعار المواد الغذائية حتى بلغ ثمن القمح بفاس نحو 100 مثقال لدرجة أصبح السكان يبيعون أحسن منازلهم ب60 مثقال إلى86 مثقال بدافع شراء ما يلزمهم من حاجياتهم الغذائية[5].

وخلال هذه الفترة اشتدت المجاعة على أهل البلاد، مما نتج عنه هلاك عدد كبير من السكان[6] و تزامن وقوع المجاعة مع عدم توفر احتياطي من الأقوات فأصبح من الضروري تزويد الأسواق الغذائية لامتصاص غضب السكان فكان لابد من اللجوء إلى الخارج لسد فجوة الداخل، فقام قائد العبيد الحوات ومحمد بن عربية بمراسلات إلى تجار الأجانب بالرباط

---

[1]–الأمين بزاز، نفسه.

[2]– محمد ضعيف، المصدر السابق، ص 124.

[3]– هي وحدة حسابية نقدية كانت تؤدى بها الرسوم الجمركية، و تستعمل أيضا كوحدة من وحدات الوزن وتعادل 34 غراما. ينظر: محمد قبلي، **تاريخ المغرب تحيين وتركيب، ط1، المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب**، الرباط، 2011م، ص 752.

[4]– هو وحدة من وحدات الوزن استعمل للدلالة على الدينار الذهبي وفي القرن 18م أصبح يطلق في المغرب على قطعة نقدية فضية من فئة عشر دراهم، وفي القرن 19م أصبح المثقال عملية حسابية وحلّ محله الريالان الإسباني و الفرنسي. ينظر: محمد قبلي، المرجع السابق، ص756.

[5]– الريفي، المصدر السابق، ص249.

[6] – ضعيف، المصدر السابق، ص124.

وسلا لتزويدهم بالحبوب لبلدانهم[1]، وهو ما حصل فعلا اذ استغل التجار الأوروبيين هذه الفرصة لتصريف منتجاتهم، فنشطت حركة البيع والشراء في بعض المرّاسي مثل تطوان والرباط، لكن باشا تطوان أحمد الريفي قام بتعطيل تجار فاس عن طريق أهل تطوان في جلب الحبوب من إسبانيا لمدة ستة أشهر[2].

وزيادة عن ذلك هلاك دواب النقل وانعدم الأمن في الطرق فكان يصعب نقلها وعلى هذا مات عشرات الألاف من الناس وهاجر آخرون إلى المدن الشمالية كطنجة وتطوان والقصر والعرائش، التي لم تشملها هذه الظاهرة للبحث عن الأمن والغذاء، كما أثرت المجاعة على يهود فاس فغادروها سنة1738م متجهين إلى مدن أخرى[3].

وقد عرف المجتمع المغربي في ظل هذه الظروف انتشار واسع لظاهرة اللصوصية فعم النهب والسلب في كامل أنحاء البلاد وامتدت أعمال اللصوص في الطرق والأسواق، ومن أهم المناطق التي انتشرت فيها فاس ومكناس وزرهون والرباط[4].

وقد انعكست هذه الأوضاع على الحياة المعيشة للسكان بتدهور الوضع الصحي للسكان الذين أصبحوا أكثر عرضة للأوبئة والأمراض، ففي عام 1742تفشى الطاعون بالمغرب الأقصى الذي انتقل إليها حسب ما ذكرته بعض الروايات عن طريق القوافل التجارية القادمة من الشرق وانتشرت بالعديد من المدن من مكناس وزرهون[5]، وساهمت الأوضاع التي كان تعيشها البلاد بنسبة كبيرة في انتشاره من خلال تحركات الجيش المستمرة بين المناطق واللقاءات العسكرية بينهم.

وقد امتد الوباء إلى شمال البلاد فمسّ أهم مدنها كفاس ومكّناس وزرّهون والقّصر وتطّوان وسلا والرباط[6]، فخلف خسائر بشرية فادحة حيث قضى على حوالي أربعة عشر

---

[1]– البزاز، المرجع السابق، ص51.

[2]–حركات، المرجع السابق، ص 72.

[3]–محمد بن الطيب القادري، المصدر السابق، ص 404.

[3]– ضعيف، المصدر السابق، ص 140.

[4]– نفسه.

[6] – االضعيف، المصدر السابق، ص 140.

ألف من أهل القصر، وبدخول فصل الصيف انحصر ليعود في الظهور مرة أخرى أشد مما كان عليه، إذ تفشى في جميع مدن المغرب، وتذكر الإحصائيات أنه كان يموت به من خمسة إلى ستة أفراد في اليوم بتطوان وأربعون شخص بطنجة وبلغ عدد ضحاياه من خمسين إلى ستين شخص بمكناس ثم ارتفع إلى مئة وخمسين وارتفع في تطوان عدد الضحايا إلى اثنى عشر ضحية في اليوم ثم وصل زحفه في السّنة الموالية 1743م، فظهر الطاعون بالجهات التي لم يشملها في السنة الماضية اذ مسّ مدينة سبتة التي خلف فيها من عشر إلى اثنى عشر في اليوم بينما ارتفع عدد الوفيات في طنجة إلى سبعين وثمنين في اليوم لينحصر تدريجيا عام 1749م كما امتد الوباء في كل من سلا والرباط بسبب تردي الأوضاع الاجتماعية والصحية وقد وقدر عدد الضحايا بيها في اليوم بستين ضحية[1].

هذا ما ميز الحياة الإقتصادية والإجتماعيثة للمغرب في هده الفترة تدهور اقتصادي مس جميع المجالات وانحطاط اجتماعي أهم ما ميزه تدهور المستوى المعيشي للسكان وانتشار للؤوبئة أدت إلى هجرة هؤولاء هروبا من هذه الأوضاع المزرية. فما كان مصير الحياة الثقافية وسط كل هذه الظروف؟

3- ثقافيا

على الرغم من الإضطربات السياسية والظروف الاقتصادية التي ميزت هذه الفترة إلى أن الحياة الثقافية لم تتأثر إلى حد كبير، بل واصلت سيرها نموها على ما كانت عليه من قبل ويظهر ذلك من خلال.المجالس العلمية السلطانية التي كانت تعقد في هذه الفترة رغم الأحداث المروعة التي كان تحدث، فالسلطان عبد الملك بن اسماعيل قام بعقد العديد من المجالس السلطانية التي كانت تعقد في رمضان، فقام بسرد صحيح البخاري وغيرها من

[1]- البزاز، مرجع سابق، ص، ص 56، 57.

الكتب الدينية[1] كما كان يعقد مجالس لاستفتاء العلماء ويأخذ برأيهم مثلما حدث في شأن أخيه الذهبي المخلوع فأراد حكم الشرع فيه فأفتى له كاتبه العلامة محمد الفاسي بعدم قتله[2].

كما عقد المولى عبد الله مجالس أدبية لحبه الشديد بالأدب واهتمامه الكبير بالشعر، لهذا نجد شعراء وأدباء يلازمون مجالسه الأدبية من أبرزهم: محمد البوعصامي والأديب محمد بومدين والفقيه الطاهر بن الواحد والطيب الماهر ادراق[3].

ومما يدل على ازدهار الحياة الثقافية في هذه الفترة انتشار الأوقاف على المدارس والكراسي العلمية، التي كان لها دور في نشر العلم ومساعدة طلاب العلم ومن الذين ساهموا في هذا مجال في هذه الفترة المولى أبي مروان عبد الملك الذي كان مهتما بالنشاط الفكري وكيفية تنميته، فأوقف العديد من الأوقاف من أجل الحزابيين الذين يقرأون الحزب داخل الروضة السلمانية واتخذ عالم يشرح للناس ألفاظا ودلائل الخيرات ووفر أجور للطلاب الذين يعلمون الناس الكتابة وقراءة القرآن الكريم[4].

كما تم بناء العديد من المدارس التي ساهمت في نشر رالعلم من أبرزها مدرسة العبدالاوية التي أنشأها المولى عبد الله بفاس عام 1732م والتي تدعى العبدلاوية[5]، واهتم بوقف الكتب في مختلف العلوم على خزانة القروين فأهدى لها في ولايته الرابعة لائحة هامة من المخطوطات منها المصاحف والسير والتصوف والوعظ والفقه والأصول واللغات والقراءات والنحو والمنطق، ومن العلوم الأخرى في مجال الطب منها كتاب "عمل من طلب

---

[1]– القادري، المصدر السابق، ج3، ص 300.

[2]– نفى المولى عبد الملك أخوه أحمد الذهبي إلى سجلماسة و لم يلبثه العبيد أن بايعوه من جديد فعاد إلى الملك. ينظر: الهاشمي آسية، **المجالس السلطانية على عهد الدولة العلوية الشريفة**، ج1، د ط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1996م، ص 292.

[3]– ضعيف،، المصدر السابق، ص 112.

[4]– بوركبة، **دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية**، ج1، مطبعة فضالة، المغرب، 1996، ص271.

[5]– يذهب بعض آخر إلى أنها من تأسيس الشيخ محمد الحاج الدلائي في أيام حكمه بفاس كما يذهب بعظهم إلى أنها من تأسيس السلطان المولى عبد الله. ينظر: عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، ج3، ط1، دار المعرفة، الرباط، 1972، ص 671.

لمن حبذ" لابن الخطيب و"تأليف الطب" لمحمد الصنهاجي وكتاب "الذيل في أوصاف الدواب والخيل لابن سينا[1].

كما انتشرت الكراسي العلمية بجامع القرويين منها: كرسي المحراب الذي كان يدرس عليه عبد القادر بن محمد بن إدريس العراقي، وكرسي النحو يدرس عليه العلامة محمد بن إدريس ابن حمدون العراقي الحسن، وكرسي ظهر الصمعة درس عليه العلامة أبو محمد عبد الله بن يخلف الأنصاري الفاسي، أما بالنسبة للكراسي بجامح الأشراف: كرسي القبة وأهم أساتذته في العهد العبدلاوي العلامة أبو عبد الله بن محمد السرغيني وكرسي سيدي موسى من أساتذته أبو عبد الله محمد بناني[2].

وعلى هذا فإن الحياة الثقافية لم تتأثر كثيرا بالاضطرابات السياسية والاقتصادية التي شهدتها هذه الفترة بل واصلت سيرورتها على ما كانت عليه من قبل فعلى الرغم من الصراع القائم بين السلاطين على الحكم، إلى أنهم أولوا عناية بهذا الجانب ونلمس ذلك من خلال اهتمامهم ببناء المدارس وعقد الجلسات العلمية.

المبحث الثاني: تولية المولى محمد بن عبد الله العلوي.

1-مولده و نشأته.

ولد السلطان محمد بن عبد الله بمكناس الزيتون في عام 1721م[3]، وذلك قبل جده السلطان اسماعيل بخمس سنوات في الوقت الذي كان بلاط جده يزخر بالعلم والعلماء، مما ساعده على التحصيل العلمي والديني[4].

---

[1]- بوركبة، المرجع السابق، ص ص 285،286.

[2]- بوركبة، نفسه.

[3]-عبد الرحمان بن زيدان، **الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلوين بفاس الزاهرة، د ط، مكتبة السادة الأشراف**، الرباط، 1937، ص 55.

[4]- أبو القاسم الزياني، **الترجمان الكبرى في أخبار المعمورة برّا وبحرّا، تح عبد الكريم الفيلالي**، د ط، المعارف الجديدة، الرباط، د ت، ص 12.

وينتمي محمد بن عبد الله الملقب بمحمد الثالث[1] إلى السلالة العلوية الهاشمية ، وهو ابن المولى عبد الله بن اسماعيل بن الشريف بن علي الشريف بن الحسن بن محمد بن الحسن الداخل، من ذرية علي بن أبي طالب كرم الله وجه[2].

وقد عرف محمد بن عبد الله بصفاتُ خَلقية وخُلقية ذكر بعضها محمد الضعيف بقوله: "صفته أسمر اللون تام القد أقنى الأنف، لتمام شعر لحيته، عريض الأكتاف، واسع المنكبين صبيح الوجه[3]، كريما اللقاء شديد الصفح، فصيحا بليغا أديبا حليما متواضعا شفيقا كريما جوادا"[4] ووصف بأنه متوسط الطول ولحيته قصيرة ذو كثافة قليلة، و بسيط اللباس فيضع شاشية تحيط بها عمامة من حرير ملونة[5].

نشأ نشأة علمية تحت رعاية والده وعناية جدته خناثة بنت بكار[6] التي كانت عالمة بعلوم القرآن والدين، وهي بمثابة المعلم الأول حيث سهرت على تربيته ورعايته، ولقنته مبادئ القراءة والتعليم الأولى، وفي سنة 1731م صحبته معها للبقاع المقدسة لأداء مناسك الحج في وفد ضم مجموعة من العلماء والفقهاء على رأسهم القاضي العميري فكان لهذه الرحلة تأثير فعال في تكوين شخصيته من خلال تأثره بهم ورغبته في التواصل معهم

---

[1]– يلقب بمحمد الثالث، فقد تولى قبله من أسرته اثنان من ملوك العلوين من يحمل إسم محمد الأول هو محمد بن الشريف والثاني عمه محمد بن اسماعيل المعروف بابن عربية. ينظر: عبد الله كنون، **ذكريات مشاهير رجال المغرب**، ط1، دار ابن الحزم، بيروت 2010م، ص 154.

[2]– ضعيف، المصدر السابق، ص 163.

[3] ينظر الملحق رقم 1 .

[4] - ضعيف، المصدر السابق، ص 164.

[5] - حركات، المرجع السابق، ص 87.

1– وهي بنت علي بن عبد الله المغافري، زوجة السلطان اسماعيل وأم السلطان عبد الله، عربية الأصل، يتصل نسبها بالقطانين عرب اليمن العاربة متضلعة في علوم الأدب والدين، كانت تقوم بدور المستشار لزوجها، توفيت بفاس في عام 1746م ودفنت في ضريح الأشراف بفاس الجديدة. ينظر: عبد الرحمان بن زيدان،**الأتحاف**، ص 12.

والاستفادة من علومهم[1]، ولع منذ صغره بالعلم وأقبل على تحصيله فأخذ العلوم الشرعية واللغوية من كبار علماء عصره وعلى رأسهم محمد بن عبد الله بن إدريس المنجرة[2].

كما كان يساعد الفقراء ويضع الأشياء في مواضعها، وشجاع يباشر الحروب بنفسه و يعتني بالأبطال وعادل لا يظلم أحد عنده، مما جعل الناس يحترمونه ويلبون مطالبه وقرارته وكان يدرك المصالح العامة والخاصة للدنيا والدين[3].

وكان محمد الثالث عالما متضلعا في الكثير من فروع العلم مقربا للعلماء ومحبا لمجالستهم فيشجع الطلاب على التحصيل والدراسة بتقديم المال والكتب، وقد تمكن من دراسة الأدب والفقه والتاريخ قبل أن يهتم بالجمع والتأليف حتى أصبح من العلماء البارزين في قضايا الشريعة والأحكام[4]، وقد ترك بصمته في هذا المجال بتأليف العديد من المؤلفات أشهرها الفتوحات الإلهية[5] كما أنّه لم يهمل المبادئ الأولى للحساب إضافة إلى التدريبات البدنية العسكرية[6].

2-خلافته على مراكش(1744-1757)

عندما تمكن المولى عبد الله من التغلب على أخيه المستضيء أثناء صراعهما الدائم حول الحكم، أخذ ملاحقته في بلاد مسفيوة[7] طالبا من سكانها تسليم المستضيء فأيد قبائل هذه المنطقة خضوعهم معلنين ولائهم للسلطان عبد الله، وهو ما اضطر المستضيء للفرار

---

[1]- عبد الرحمان بن زيدان،**الأتحاف**، مصدر سابق، ص 197.

[2]- كان عالما وفقيها انتقل من فاس إلى مراكش واشتغل إماما بأحد مساجدها يؤم الناس ويدرس الطلبة إلى أن توفي بها سنة 1761م. ينظر: الزياني، **الترجمانة الكبرى**، ص 16.

[3] - المشرفي، المصدر السابق، ص ص 21 – 22.

[4] - الزياني، **الترجمانة الكبرى**، ص 16.

[5]- هو كتاب خاص بحديث النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذاعت شهرة هذا الكتاب بالمشرق والمغرب وتم طبعه من طرف مطبعة الملكية سنة 1364هـ بتقديم الأستاذ الفقيه المحدث المدني بن الحسني. ينظر: محمد بن عبد الله العلوي، **مواهب المنان بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان**، صححه أحمد العلوي عبد اللوي، د ط، فضالة، المغرب، 1996م، ص 18.

[6] - القبلي، المرجع السابق، ص 129.

[7] – هي قبيلة كبرى بجنوب شرق مراكش تشتمل على عدة عشائر منها: بني عبد السلام وبني ومن أشهر قراها بني ورير وآيت ورير التي هي مركز قيادتها. ينظر: ابن زيدان، **العزو الصولة**، ص 153.

إلى مراكش[1]، بيد أنه لم يستقر فيها كثير اذ لقي فيها معارضة من أهلها، الذين كانوا يؤيدون المولى عبد الله فأرسلوا إليه وفودهم معلنين ولائهم له طالبين منه استخلاف محمد خليفة عليهم[2]، فوافق السلطان عبد الله على ذلك قائل لهم هذا سيدي وسيدكم وهو الخليفة عليكم[3].

كما كانت لأهمية منطقة مراكش من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية سببا آخر استخلاف السلطان عبد الله لولده محمد عليها، وبناء على ذلك نزل الخليفة محمد بن عبد الله عام 1744م في مراكش، التي كانت عبارة عن خراب وتكاد تخلو من العمران ما عاد بعض الأثار التي تعود للسعدين والموحدين فشرع على الفور في العمل ووضع الأسس الأولى لبناء داره لكنه اصطدم بمعارضة قبائل الرحامنة[4] الذين منعوه والسبب في ذلك حسب المؤرخين هو

اعتياد هذه القبائل على حياة الفوضى والفساد والتصرف بحرية بعيدا عن مراقبة[5] المخزن[6].

2-1-انتقال الخليفة محمد إلى آسفي

إنّ معارضة قبائل الرحامنة للخليفة محمد بن عبد الله وموقفها منه دفعته للخروج من مراكش والانتقال إلى آسفي[7]، أين لقي قبائل أحمر وعبدة[8]، الذين فرحوا بقدومه وأحسنوا

---

[1] – الناصري، ج7، المصدر السابق، ص 196.

[2] - القادري، المصدر السابق، ص 193.

[3] - ضعيف، المصدر السابق، ص 151.

[4]–هي قبيلة عربية مستقرة بالسهل الواقع جنوبي وادي أم الربيع وشمال مدينة مراكش تشتمل على عدة عشائر منها: الحشاشدة والحوزية واللواتية والبورية...وغيرها. ينظر: ابن زيدان، **العز و الصولة**، ص 153.

[5]–الزياني، **الترجمان المعرب**، 68.

[6]– هو مؤسسة سياسية يمارس الحكم عبرها وهو نظام اجتماعي وسياسي يتميز به المغرب فأصل الكلمة من فعل خزّن أي جمع وقد كان يعني في بداية الأمر المكان الذي كانت تجمع فيه ضرائب الشرعية والموجهة إلى بيت مال المسلمين واتسع معناها فيما بعد ليشمل معنى " الحكومة المغربية". ينظر: عبد اللطيف أكنوش، **تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية بالمغرب**، د ط، افريقيا الشرق، دار البيضاء، د ت، ص 119.

[7]– تقع آسفي على بعد 143كلم من الجديدة في الطريق الساحل و86 ميلا بحريا وهي مدينة كبيرة ، مراسيها من أشد المراسي المغربية. ينظر: ابن زيدان، **العز و الصولة**، ص 153.

[8]– عبدة: اسم تنطوي تحته قبائل عامر والبحائرة الربيمة وتمرة المحيطة بآسفي الواقعة بين البحر ودكالة وحمير والشياظمة. أحمر: اسم يطلق على مجموعة القبائل الزرات والزردات وأولاد يوسف وأولاد سعيد المستقرة بالسهل الواقع بين آسفي ومراكش. ينظر: نفسة.

استقباله والترحيب به بالعب بالبارود والتسابق بالخيل معبرين عن سرورهم وابتهاجهم بقدوم الخليفة إليهم، وتنافسوا في إكرامه بتقديم الهدايا له كما قدموا أولادهم لخدمته وتوفير ما يحتاجه وتبعهم في ذلك تجار النصارى واليهود[1].

اهتم الخليفة بعد ذلك بتنظيم آسفي وانكب على تطويرها حيث عمد إلى تنشيط التجارة الخارجية بتشجيع التجار الأجانب الذين قصدوها حاملين معهم مختلف أنواع البضائع للبيع والشراء، فنشطت الحياة الاقتصادية وانتعشت مختلف مناحي الحياة الاجتماعية، وعمّ الأّمن والاستقرار بعد الفوضى والاضطراب، فأضحت آسفي مركزا تجاريا مهما[2].

وقد تمكن الأمير خلال هذه الفترة من التعرف على النشاط الاقتصادي وحركة التبادل مع الخارج، فاكتسب خبر سياسية واقتصادية وجعلته يحظى بمكانه شعبية واسعة من طرف السكان[3]

والتفت حوله مختلف القبائل منها الشياظمة وحاحة التي دخلت في خدمته[4].

2-2-عودته إلى مراكش

كان للإنجازات التي قام بها الأمير محمد في آسفي وما أصبحت عليه من تطورات أثر في ندم قبائل الرحامنة وتراجعهم عن موقفهم المعادي له، الذين أرسلوا وفودهم محملة بالهدايا معتذرين عما بدر منهم طالبين منه العودة معه إلى مراكش فلم يسعه إلا الاستجابة لهم[5]، فعادت إلى المدينة رفقة العديد من أعيان مدينة أسفي، وبنزوله في المدينة كان في استقبال أهل مراكش وقبائل الحوز كما وفدت إليه قبائل الدير والرحامنة بهداياهم وكذلك توجه إليه عبيد دكالة ومكناسة معلنين ولائهم .

---

[1]- الزياني، **الترجمان المعرب**، ص37.

[2]- الزياني،نفسه ، ص14.

[3] -حركات، المرجع السابق، ص85.

[4]-الزياني، **البستان**، ص339.

[5]-الزياني، **الترجمان المعرب**، ص14.

تفرغ الأمير بعد ذلك لأعمال البناء والتشييد وإصلاح المدينة واهتم بالعمران[1]، فشيد القصور منها القصر الأخضر وزودها بالمدارس كما أنشأ بستان سماه النيل متصلا بداره الكبرى في جهة الغرب، ثم نظم الجيش فاجتمع لديه من العبيد ألف وخمسمائة من عبدة ومن أهل الحوز ألف فارس، وعمل على إحلال الأمن والاستقرار لإخضاع القبائل الثائرة التي ما فتئت كثير الفوضى والفتن[2].

فتوجه محمد بن عبد الله إلى السوس[3] في سنة 1756م فأصلح أحوالها وتمكن من إقرار الأمن فيها وتقوية حاميتها، ثم اهتم بشؤون تارودانت[4] وأغادير وعرج إلى قبائل الشاوية وسار إلى العدوتين والقصر الكبير وشفشاون وتطوان وطنجة والعرائش فأقر الاستقرار في جميع هذه المناطق وأصلح شأنها ورتب أعمالها وأقام نوابه على المدن والقبائل، وهكذا تمكن الخليفة من بسط نفوذه على المنطقة الممتدة من الشاوية إلى أطراف السوس جنوبا والسهول والمراكز الأطلسية كلها، وهذا ما جعل العبيد يتمردون على والده المولى عبد الله وينصرفون إلى مبايعته[5].

فبايعه عبيد مكناسة في عام 1749م، وخاطبوا به في مكناسة وزرهون لكنه رفض بيعتهم وعاتبهم على هذا التصرف في حق والده ومع ذلك استمروا في الخطبة باسمه، فانتقل الخليفة إلى مكناس سنة 1750م وأنكر صنيعهم وتبرأ من فعلتهم، فعادوا لطاعة أبيه بعد أن استشفع لهم عنده لكن العبيد عادوا مرة أخرى إلى شق عصى الطاعة على المولى عبد الله وفي عام 1751م وفدوا على ابنه الأمير محمد بمراكش ليمثلهم، إلا أن الأمير

---

[1]–الناصري، ج7، ص195.

[2]–الزياني، **البستان**، ص340.

[3]–تقع السوس وراء الأطلس إلى جهة الجنوب في رمال الصحراء وشمالا في الأطلس عند حدود ححا وشرقا عند نهر سوس الذي سميت به هذه الناحية. ينظر: حسن الوزان، **وصف إفريقيا**، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م، ص113.

[4]– وهي تقع جنوب الأطلس الكبير بعيدة عنها بما يزيد قليلا عن 4 أميلا وشرق تييوت بعيدة عنها ب35 ميلا، أسسها الآفارقة الأقدمون. ينظر: نفسه، ص117.

[5]ـ حركات، المرجع السابق، ص 84.

رفض رغبتهم مؤكدا ولاءه الدائم لوالده فتوسط لهم عند والده يستعطفه لهم فعادوا من عنده راضين وعقد الصلح بينهم وبين أبيه[1].

3- بيعته

إثر وفاة المولى عبد الله بن اسماعيل في 1757م، كان الناس قد سئموا حالة الفوضى والحروب التي مست البلاد، مما دفعهم للتعجيل لمبايعة ولده محمد لما ظهر فيه من حنكة سياسية وحسن التدبير والتخطيط، وسلامة في الرأي أيام خلافته على مراكش، أهلته للنهوض في البلاد وإمساك بزمام الأمور من جديد[2]، فما إن فرغ هذا الأخير من مراسيم دفن والده حتى قصده أهل مراكش ببيعتهم، ووفدت عليه قبائل الحوز والدير والسوس وحاحة والشياظمة وعبدة كلّ ببيعته وهدياه، ثم حظر عنده الوديا وقادة جيش العبيد وسكان فاس الذين ترأس وفدهم أعيان المدينة وعلمائها مؤيدين البيعة ومقدمين الهدايا له[3].

وقد تمت له البيعة في عام ربيع الأول عام 1757م في جامع الكتبيين[4] بحمراء بمراكش وأشار إلى هذه البيعة ولده عبد السلام بن عبد الله قائلا:" ... بويع لمولانا الوالد السلطان الأعظم بسيدي محمد بن عبد الله البيعة التامة الصحيحة التامة، وحضرها جماعة من أعيان العلماء مثل قاضي الجماعة بمكناس السيد سعيد العميري، وقاضي الجماعة بمدينة فاس السيد عبد القادر أبو خريص..."[5]

---

1 - بن زيدان، **الإتحاف**، ص ص 185، 186.

[2]- أبو القاسم الزياني، **الروضة السليمانية في ملوك الدولة العلوية ومن تقدمها من ملوك الدول الإسلامية**، مؤسسة الملك عبد العزيز، دار البيضاء، و152.

[3]- أحمد الكنسوسي، **الجيش العرمرم في دولة مولانا علي السجلماسي**، تق وتع أحمد بن يوسف الكنسوسي، ج2، المطبعة والوراقة الوطنية، د ت، ص 212.

[4]- بنى هذا المسجد سنة سبع و ثلاثين وخمسمائة على يد عبد المؤمن بن علي الكومي الموحدي وارث المهدي بن تومرت وفي سنة احدى وتسعين وخمسمائة شيد حفيده السلطان المشهور يعقوب المنصور منار هذا الجامع العجيب. ينظر: محمد بن محمد عبد الله المراكشي، **السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية**، تع أحمد متفكر، ط3، مؤسسة أفاق، مراكش، 2011م، ص19.

[5]- السعيد بوركبة، "**مظاهر رائعة عن نشاط سيدي محمد بن عبد الله**"، دعوة الحق، ع 289، المغرب، 1992، ص 20.

وبعد انتهاء السلطان محمد من أمر الوفود واكتملت مراسيم البيعة، خرج من مدينة مراكش قاصدا مكناسة، وما إنّ نزل فيها حتى أخذ يوزع الأموال والسلاح والخيل على العبيد الذين أنهكتهم هجمات التي كان البربر يشوننها عليهم فيستولون على أملاكهم وأولادهم، ثم خرج إلى فاس ففعل مثل ما فعل بمكناس حيث وزع الأموال والسلاح والخيل على أهلها وأكرم الفقهاء والأشراف وطلبة العلم، وبعدها سار إلى دار الدبيبغ مقر والده المولى عبد الله فوقف على تركة والده[1] من الأموال والسلاح والخيل فقام بإحصاء ما كان موجود فيه وأوكل إلى الحاجب عبد الوهاب اليموري مهمة الإشراف على هذه العملية[2].

وتوفي المولى محمد بن عبد الله في 11 أفريل 1790م، بين واد "بَكم" و"الشراط" إثر مرض ألم به وهو في طريقه إلى ضريح عبد السلام بن مشيش ودفن بالرباط[3].

[1]– فكان أكثره ذهبا إضافة إلى 100سماط من الجلد الفيلالي في كل واحد ألف دينار تحمل على الخيول اينما سافر وفيها مئة واحدة من الذهب الخالص. ينظر: الناصري، **ج8**، المصدر السابق، ص5.

[2]– ضعيف ، المصدر السابق، ص 165.

[3] – ابن زيدان، **الدرر الفاخرة**، ص58.

خلاصة

نستخلص مما تقدم أنّ المغرب الأقصى بعد وفاة المولى إسماعيل طرأ عليه عدة تغيرات في شتى المجالات السياسية والاجتماعية ولاقتصادية ، وهذا راجع إلى تحول الجيش من عامل ضبط وأمن إلى عامل تفكيك سلطة المخزن عوض تقويتها، فتدخل الجيش في الشؤون السياسية لمد ثلاثين سنة أدى الدور الفعال في تنصيب وخلع عدد كبير من السلاطين من أبناء المولى إسماعيل رغبة في الهدايا والهبات التي تقدّم لهم، مما أدى إلى تخلّي السّلاطين عن الإصلاح والتجديد وتسوية الأوضاع وانصرافهم لتوفير كل مؤهلات ورغبات الجيش لضمان البقاء في الحكم، لكن مع تولية محمد بن عبد الله ملكا للمغرب سيبدأ عهد جديد في تاريخ الدولة العلوية حاول فيه هذا الأخير إعادة ضبط أمور البلاد وإصلاح أوضاعها عن طريق انتهاج مجموعة من الخطط والتدابير.

الفصل الثاني:

السياسة الداخلية للسلطان محمد بن عبد الله.

المبحث الأول:المجال العسكري.

المبحث الثاني:المجال الإداري و الاقتصادي.

المبحث الثالث:المجال الثقافي.

لإصلاح الوضع الداخلي للمغرب الأقصى قام السلطان محمد بن عبد الله بحركة واسعة من الإصلاحات الداخلية التي طبعت عصره، مست جميع الميادين والمجالات من خلال خطط وتدابيرمحكمة محاولا بها النهوض بالبلاد وإخراجها من الأزمة التي كانت تعيشها.

المبحث الأول: المجال العسكري

1ـ تنظيم الجيش

نظرا لتردي أوضاع الجيش وتفشي الفساد داخل المؤسسة العسكرية المكونة أساسا من جيش عبيد البخارى وجيش الوداية الذين كانت لهم أدوارا خطيرة خلال سنوات الازمة عمد المولى محمد إلى تنظيم الجيش وإصلاحه باعتباره الركيزة الأساسية لضمان الأمن في البلاد والحفاظ على وحدتها بالقضاء عل روح الفوضى المتفشية في صفوفه.

حيث عمل على التقليل من نفوذ جيش عبيد البخارى وجيش الودايا اللذان كان مصدرا لبث الفوضى والفتن، بالاعتماد على عناصر جديدة من القبائل المتواجدة بوسط وغرب المغرب إذ قام بتشتيت جيش البخارى وتفريقه على مختلف الثغور المغربية في طنجة والعرائش وغيرها، وإبعاده عن الشؤون السياسية، وهو نفس الأسلوب الذي طبقه مع جيش الودايا الذين نقلهم من فاس إلى مكناس وفي نفس الوقت تشكل جيش جديد من العبيد والودية[1].

واتبع هذا السلطان هذه السياسة مع العبيد طوال فترة حكمه، يجمعهم تارة ويفرقهم تارة أخرى بنقلهم بين مختلف مناطق المغرب، حريصا في ذلك على إحداث التوازن بين القوى المكونة لجيشه، بحيث لم يترك المجال لأي فرقة من الجيش بتكوين منطقة نفوذ خاصة بها[2].

[1]– محمد المهناوي، "**السياسة العسكرية تأملات في الفكر الإصلاحي لسيدي محمد بن عبد الله**"، أعمال الدورة الثالثة جامعة مولاي علي الشريف الخريفية مركز الدراسات العلوية الريصاني، المغرب، ديسمبر 1991م، ص233.

[2]– ثريا برادة، **الجيش المغربي وتطوره**، د ط، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1997م، ص 95.

كما استحدث عناصر جديدة في الجيش عام 1759م سجلت في ديوان الجيش بمكناس، اذ أضاف للعبيد مجموعة من الحراطين جلبهم من الصحراء نقلوا إلى معسكرات فاس ومكناس، بعد أن أخرج خصومهم من الأودايا لتصرفاتهم السيئة بفاس[1]، وبذلك استطاع أن يقظي على مديري الفساد وتكوين جيش قوي من الموالين له لم يتوانى في تنفيذ أوامره[2].

وأنشأ في عام 1765م جيش جديد أطلق عليه اسم "اليكشارية"[3]، ضمّ حوالي 4500 رجل تم انتقائهم من العزاب من حوز مراكش عل يد القائد عبد النبي المنبهي، ولكن هذا المشروع باء بالفشل إذ سرعان ما قام السلطان بالاستغناء عنهم وتسريحهم، نتيجة لتجاوزتهم السيئة مع السكان في المناطق التي كانوا يحلون بها[4]، إثر ذلك عاد السلطان إلى التجديد القبلي مستعينا ببعض القبائل العربية، كبني حسن و أخرى بربرية كآيت إدراسن وكروان، التي اعتمد عليها في الحمالات التأديبية ضد القبائل الثائرة وإخضاع الأقاليم[5]، بينما ركز السلطان معظم الجيش النظامي المخزني في الثغور المغربية لحمايتها من هجومات القبائل المجاورة و غارات الدول الأوروبية، حيث وجدت أكبر حامية بطنجة بما يقدر 3500 جندي، وتتلوها الصويرة 2500جندي، ثم آسفي ب 2000 جندي وسلا والرباط 2000 جندي، والمهدية 1500، وأزمور500، و تطوان 800، وأصيلا 200[6]، وأخيرا فإن الجيش كان يعزّز بالمتطوّعين المجاهدين الذين يساهمون في مقاومة الاحتلال الأجنبي للثغور.

وبقدر ما نوع المولى محمد من عناصر الجيش قلل من عددها، حتى يتجاوب مع الإمكانيات المالية لخزينة الدولة، إذ أنّ تعداد جيش عبيد البخارى الذي كان يمثل أضخم جيش عند السلطان اسماعيل، لم يكن يتعدى 18.000 جنديا سنة 1790م، حسب أعلى

---

[1]– بن عبد الله، المرجع السابق، ص 36.

[2]– شوقي الجمل، المرجع السابق، ص 224.

[3]–جند المشاة في الجيش العثماني يمثلون جيشا نضاميا يخضع لضوابط صارمة، وقد استلهم السعديون والعلويون من الإنكشارية بعض الجوانب التنضيمية ووضفوها في وتحسين مستوى الإعداد العسكري. ينظر: القبلي، المرجع السابق، ص 752.

[4]– حركات، المرجع السابق، ص99.

[5]– القبلي، المرجع السابق، ص431.

[6]– برادة، المرجع السابق، ص96.

تقدير وذلك حتى يتمكن من تلبية حاجيات جيشه من تسليح وتموين وتدريب، ففي عام 1787م قام بإعطاء الجند عام مرتبا مقدما عن 15 سنة من الخدمة[1]، وجلب خبراء ومدربين أتراك لتدريب رماة الجيش وتطوير المدفعية، كما وضع له لباس خاص فكان لباس الشتاء تام بالملف الأحمر ولباس الصيف من الكتان الأحمر وحده[2]، وحث أفراد الجيش على دراسة علوم الحساب والهندسة ويشجعهم عليها بالرفع من رواتبهم[3].

2ـ التصدي للحركات المعارضة

من النشاطات الداخلية التي قام بها المولى محمد بعد توليه الحكم لإضفاء الاستقرار في البلاد واستتباب الأمن التصدي للحركات المناوئة للسلطة المركزية، على الرغم من الاستقرار الذي ميز فترة حكمه إلا أنها لم تخلوا من بعض الاضطرابات التي كان تحدثها القبائل في العديد من المناطق، والتي يعتبر بعضها امتداد للأحداث الماضية ما اضطر السلطان للخروج في حمالات تأديبية لردعها ونذكر أهمها:

2-1- ثورة غمارة 1757م

انطلقت في نفس السنة التي تولى فيها السلطان الحكم على يد المرابط أبي عبد الله محمد العربي الخمسي المعروف بأبي الصخور، وهو أحد الصلحاء بالمنطقة واكتسب شعبية كبيرة بين قبائل، إذ تنبأ بقصر مدة السلطان وأشاع ذلك بين الناس كما ادعى أنه يستخدم الجن[4]، فخرج السلطان بنفسه لإخماد هذه الثورة التي انتهت بمقتل أبي الصخور عام 1757م، و عين الباشا العياشي على قبائل غمارة والأخماس وجميع تلك النواحي وجعل مقره بشفشاون[5]، و قد تضافرت الأوضاع الاقتصادية لهذه الناحية وأثار ثورة الباشا الريفي وتصرفات المستضيء على قيام هذه الثورة، التي لم تنتهي إلا لتظهر بعدها اضطرابات

[1]- المهناوي، المقال السابق، ص233.

[2]- المريني، الرجع السابق، ص،102. 103.

[3]- بن عبد الله، المرجع السابق، ص36.

[4]- الناصري، **ج8**، المصدر السابق، ص10.

[5]- الزياني، **الروضة السليمانية**، ص152.

أخرى، إذ قام السلطان بجولة شاملة في مناطق الشمال لأسباب أمنية وجبائية في سنة 1765م[1].

2-2- ثورة الودايا 1759م

كانت ثورتهم في شكل غارات على قبائل أيت إدراسن التي كانت تناصبها العداء منذ أيام المولى عبد الله، إذ تحالف الودايا مع قبائل كروان لإلحاق الضّرر بهذه القبيلة، من خلال قطع الطرق أمامهم والتعرض لقوافلهم التجارية وشن الهجمات المتكررة عليهم، ومع أن السلطان قام بنقل هذه الأخيرة إلى مكناسة لرد الأذى الذي ألحق بها، إلا أنّ الودايا وحلفائهم لم يكفوا عما كانوا يقومون به وزادوا على ذلك بأن خرجوا عن طاعة السلطان وقرروا مهاجمة مكناسة الزيتون لقتال من فيها، فما كان من المولى محمد إلا أن أمر جيوشه بالخروج لملاقاتهم والتصدي لهم[2]، فدارت المعركة بين الطرفين على واد" ويسلن" أسفرت عن هزيمة الودايا ومقتل حوالي 500 شخص، كما تم قطع رؤوس بعض أعيانهم وعلقت بمكناسة بعد أن نهب الجنود معسكراتهم[3].

وقد أثارت هذه الحادثة غضب السلطان على الودايا وعزم على الإطاحة بهم، فخرج من مكناس إلى فاس في حملة تأديبية ضدهم تمكنّ خلالها من اعتقال عدد كبير من أعيانهم وقوادهم، كما أمر الجيش بمصادرة ممتلكاتهم بفاس الجديدة[4] التي حاول أهلها المقاومة لكن دون جدوى، ثم نقل الواديا إلى قصبة الأروى بمكناسة، وولّى عليهم القائد قدور بن لخضر بعد أن نفى مثيري الفتن منهم إلى قبائلهم الأصلية، وأسكن مكانهم بفاس الجديدة حوالي 1000 شخص من جيش العبيد الذين كانوا بمكناسة، فصلحت بذلك أحوال الودايا وتخلوا عما كانوا فيه من البغي و الفساد على حد قول ابن زيدان[5].

---

[1] – حركات، المرجع السابق، ص88.

[2]–الضعيف، المصدر السابق، ص152.

[3]–ابن زيدان، **الإتحاف، ج 4**، ص194.

[4]– الضعيف، المصدر السابق، ص162.

[5]– ابن زيدان، **الإتحاف**، ص194.

2-3- ثورة مسفيوة 1762 م:

كان أفراد هذه القبيلة من المناصرين للمستضيء ولما هزم على يد أخيه عبد الله أعلنت خضوعها لهذا الأخير بعد أن دمر قراهم واستحوذ على جميع مواردهم فلم يسعهم في غضون ذلك القيام بأي عمل انتقامي، ولا سيما أن المولى محمد كان يحّكم مراقبتها أيام خلافته على مراكش، ولكن ما إن استلم زمام الحكم في البلاد حتى عادت هذه القبيلة لإثارة الفوضى من جديد مستغلة تنقل السلطان بين العواصم المغربية مراكش وفاس، ومكناس وأخذت ثورتها طابع الهجوم والإغارة على القبائل المجاورة فأعدم السلطان 150 شخص من أعيانهم بمراكش كانوا قد قدموا إليه من مسفيوة عام 1762م فاستقرت اوضاعهم اثر ذلك[1].

وخلال ذلك أخضع السلطان "أيت يسير" من "زمور" بعد أن استولى على أملاكهم وفرقهم بين مختلف القبائل[2]، كما قاد حملة عسكرية أخرى لإخضاع قبائل "مرموشة" الذين تزايدت اعتداءاتهم على الناس، فتمكن من الإطاحة بعدد كبير منهم بعد أن انتزع أموالهم ومساكنهم[3].

2-4- ثورة آيت أمالوا 1772م

في إطار الحمالات التي كان يقوم بها السلطان لتمهيد البلاد خرج عام 1772م على رأس حملة عسكرية قوامها عدد كبير من الجيوش والقبائل العربية والبربرية، لإخضاع قبائل أيت آمالوا الذين رفضوا العامل الذي عينه السلطان عليهم وهو "بلقاسم الزموري"، والذي كان قد مني بالهزيمة أمام هذه القبائل من قبل، فما إن وصل السلطان إلى محلة هذا الأخير الذي كان متواجد بالمنطقة حتى قسم جيشه إلى ثلاث فرق بناء على إشارة القائد المذكور فرقة "بتامساكت"، وفرقة بزاوية "محمد الحاج"، أما الفرقة الثالثة تكون معه على طريق تكط في حين ينزل السلطان بمن معه من الجنود "أدخسال"، غير أنه بوصول الجنود إلى هذه

---

[1]- حركات، المرجع السابق، ص88.

[2]- الزياني، **البستان**، ص88.

[3]-بن زيدان، **الإتحاف**، ص200.

المنطقة لم يجدوا أحد من السكان[1]، الذي كانوا قد تحصنوا بالجبال، وهلك فريق من الجيش أثناء توغله على يد آيت أمالوا، فاضطر السلطان إلى طلب المشورة من أبو القاسم الزياني[2] الذي رافقه في هذه الحملة والذي كان على تمام المعرفة بالمنطقة، فبين له سوء تدبير الزموري وتخطيطه وجهله للمنطقة التي تحت تصرفه وأنّ إشارته ستعرض السلطان وجيوشه للخطر، فما كان منه إلا أن يعهد لهذا الأخير بإنقاذ الموقف بالتدخل لدى المتمردين لفتح الطريق والسماح بانسحاب الجيش مقابل العفو عنهم فتم ذلك حيث استسلمت آيت أمالوا ودخلوا في طاعة السلطان بعد أن نقلهم إلى مكانس ومنحهم منازل خاصة بها، كما عزل القائد بلقاسم الزموري وصادر أمواله[3].

2-5- ثورة الحاج اليموري1781م:

ظهرت هذه الثورة في وقت كان فيه المغرب الأقصى يعاني أزمة اجتماعية واقتصادية حادة ناجمة عن المجاعة التي ضربت البلاد ما بين(1779م ـ 1783م)، حيث ظهر بين قبائل آيت يمور المقيمة في الغرب المدعو الحاج اليموري الذي كان يدعي الهداوية متنبأ بقرب ظهور المهدي المنتظر، وفي كنف الأوضاع المتدهورة التي خلفتها المجاعة لفيت حركته رواجا كبير في أواسط القبائل البربرية[4]، التي أخذت تشن حملات واسعة على القبائل العربية المجاورة لهم، فتكتلت هذه القبائل تحت قيادة "الهاشمي السفياني" لمحاربة آيت يمور ولكنها منيت بالهزيمة وقتل قائدها، ليزداد طغيان آيت يمور بهذا الانتصار، إلا أن تمكن السلطان من تدارك الموقف بإرسال حملة عسكرية تمكنت من قتل الحاج اليموري[5].

---

[1]- الزياني، **الترجمانة**، ص25.

[2]- هو أحد الكتاب و المؤرخين الذين عاصروفترة السلطان محمد بن عبد الله ومن المقربين له وأحد وزرائه، له العديد من المؤلفات التي أرخ فيها للدولة العلوية. ينظر: محمد بن جعفر الكتاني، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء بفاس**، تح عبد الله الكامل الكتاني وأخرون،ج1، ط1، دار الثقافة، المغرب، 2004م، ص296.

[3]- ليفي بروفنصال، **مؤرخو الشرفاء**، تر عبد القادر الخالدي، د ط، دار الغرب، الرباط، 1977م، ص106.

[4]- محمد الأمين البزاز، "**الأزمة الغذائية في عهد سيدي محمد بن عبد الله خلال سنوات الأزمة (1776.1782م)**"، أعمال الدورة الثالثة جامعة مولاي على الشريف الخريفة، المرجع سابق، ص78.

[5]- حركات، المرجع السابق، ص92.

2-6- ثورة اليزيد وعبيد البخارى 1786

تعتبر من أخطر الثورات قام بها جيش عبيد البخارى عام 1786م، الذي خرج عن طاعة السلطان وانحاز إلى مبايعة ابنه اليزيد الذي كان قد أرسله لمعالجة المشكلة وتعود جذور هذه الثورة إلى أن السلطان محمد أرسل إلى الجيش بمكناسة يأمرهم بنقل ألف جندي مع أسرهم إلى طنجة، ليكونوا حامية بها وأسند هذه المهمة إلى القائد "الشاهد" غير أن هذا الأخير اختار الأغنياء وأصحاب الأملاك من الجيش ورفض الفقراء منهم، وهو ما دفع هؤلاء إلى إعلان العصيان والتمرد ضد السلطة المركزية، وقد اتسعت نطاق هذه الثورة ولا سيما بعد أن قام اليزيد المبايع من طرف الجيش لفتح بيت المال ومخازن السلاح أمام الجنود المتمردين بمكناسة[1]، كما انحازت إليها القبائل العربية والبربرية المجاورة، مما أجبر السلطان للخروج على رأس حملة عسكرية تمكن خلالها من إخماد هذه الثورة، وبالرغم من أنّه صفح عن ابنه اليزيد إلا أنه لم يتساهل مع جيش العبيد، حيث أخرجهم من مكناسة وشتتهم في مختلف الثغور المغربية مثل طنجة والعرائش والرباط وغيرها، ولكن هذه الإجراءات لم يجدي نفعا إذ سرعان ما انعكست بصوة سلبية على المناطق التي حل بها نتيجة اعتدائهم على السكان لاسيما العرائش وطنجة[2]، فعمد إلى أسلوب آخر حيث دعاهم إل الاجتماع بمكان حدده لهم بدعوة أنه سيعيدهم إلى مكناسة وهو ما كان يرغب فيه هؤلاء ثم أمر قبائل الغرب بمحاصرتهم ووزعهم بين رؤساء تلك القبائل الذين استخدموهم في ممارسة اعمالهم اليومية كخدمة الأرض والماشية لمدة أربع سنين، عفا عنهم بعدها وأرجعهم إلى الجيش[3].

وقام المولى محمد بن عبد الله بالعديد من الحملات التأديبية لردع القبائل الثائرة في مختلف جهات المغرب، والتي أخذت في معظم الأحيان طابع غارات وأعمال نهب بين القبائل في ظل غياب تنظيم اجتماعي اقتصادي يكفل لها عيش لائق[4]، حيث شوهد عام

---

[1]- حركات، نفسه.

[2]-محمد خير فارس، المرجع السابق، ص108.

[3]-الضعيف، المصدر السابق، ص ص 180. 181.

[4]- حركات، المرجع السابق، ص88.

1761م على رأس حملة عسكرية في بلاد الشاوية وتدلا لإخضاع قبائل آيت إسكاتوا و بني سادن وغياثة والحياينة معتمد في ذلك الأسلوب النهب والتهجير ومصادرة الممتلكات[1].

وخلال ذلك قبض على الثائر محمود شنقيطي الذي قدم من بلاد شنقيط واستقر في فاس أين استطاع تكوين حلقة واسعة من الأنصار من أعيان فاس وقبائل البربر، وأخذ يتهجم على السلطة ونظامها إلى أن تم وضع حد له[2]، ووضع حد لثورة أحمد الخضر الذي ظهر بصحراء فجيج[3] عام 1763م الذي أشاع قدرا كبيرا من الفوضى والاضطراب في المنطقة من خلال ما قام به هذا الثائر من أعمال سلب ونهب والتنكيل بالمخالفين، إذ قتل حوالي 600 شخص من سكان المنطقة الذين رفضوا الدخول في طاعته[4]، لتظهر بعد ذلك فتنة 1767م بنواحي مراكش والتي أثارها المدعو عمر كلخ الذي هاجم مع أنصاره المدينة وحاول الاستلاء على بيت المال، لكن سرعان ما تم القضاء عليها بعد أن تم القاء القبض على قائدها وإعدامه[5].

وتظهر هذه الثورات المحلية مدى سوء الوضع الاجتماعي، الذي كان يعيشه سكان البوادي لدرجة أنهم صاروا يتبعون أي شخص يعدهم بتحسين أوضاعهم ولو عن طريق النهب.

ولئن كانت هذه الاضطرابات عابرة وقصيرة الأجل فإنها نشرت قدرا كبيرا، من الفوضى والاضطراب ولا سيما خلال الفترة 1776- 1782م، التي توافق سنوات المجاعة حيث ظهرت العديد من الثورات بين القبائل التي جاءت لتعبر عن البؤس الاجتماعي لغالبية السكان، وفي نفس الوقت لسد حاجياتها الغذائية عن طريق النهب والسلب والإغارة على

---

[1]– القبلي، المرجع السابق، ص431.

[2] – الزياني، **البستان**، ص 393.

[3]– يطلق اسم فجيج على مجموعة من الواحات الواقعة بأقصى نقطة في الحدود الجنوبية الشرقية الحالية للمملكة المغربية. ينظر: ابن زيدان، **العز والصولة**، ص161.

[4]– القادري، مصدر السابق، ص161.

[5]– حركات، المرجع السابق، ص89.

القوافل التجارية[1]، ومثال ذلك ما قامت به قبيلة أولاد أبي السباع التي تمادت في السلب ومهاجمة القوافل باعثة بذلك الفوضى والقلاقل في مراكش، فكان على السلطان أن يواجهها بتجريد حملة عسكرية عم 1783م تمكنت من قتل عدد كبير من أفراد القبيلة واعتقال زعمائها فيما طرد من بقي منهم إلى الصحراء[2].

وهكذا امتدت هذه الثورات طوال فترة حكم المولى محمد بن عبد الله إذا لم يكن يستريح من إخماد إحداها حتى تظهر أخرى ، ومع أنها كانت محدودة بحيث لم تشكل خطر كبير على السلطة المركزية والحكم القائم، إلا أنها كانت لها أثار سلبية على خزينة الدولة وزيادة أعبائها بما تتطلبه الحملات الردعية من مصاريف لتعبئة الجيوش وتموينها.

3- بناء الأسطول:

حرص المولى محمد الثالث منذ على تكوين أسطول قوي يمكنه من الدفاع عن الثغور المغربية والتصدي للأخطار الخارجية، حيث سعى جاهدا إلى تحديث الأسطول المغربي وتزويده بالمعدات الازمة من أسلحة وسفن متطورة فقام ببناء عدة مصانع لصنع السفن لاسيما في مدتني سلا والعرائش[3]، ومن الأمثلة على ذلك صنع سفينة عام 1760م من طابقين أنفق فيها أمولا باهظة قدرت بحولي 40 قنطار من الذهب أسندت رئاستها للرايس سالم، وكان عدد بحريتها 330، ومدافعها النحاسية 54 مدفعا[4]، كما امر بإنشاء سفينة جهادية للرايس العربي حاكم الرباط، وفي عام 1759م أمر أيضا ببناء مجموعة كبيرة من السفن في تطوان كان لها دور كبير في تزويد البلاد بالأسلحة[5].

وقدر تعداد الأسطول المغربي في عهده ب 50 قطعة بحرية(20 منها كبيرة و30 صغيرة) يشرف على قيادتها 60 شخص من رؤساء البحرية، وبلغ عدد جنود البحرية حوالي

---

[1]-البزاز، **الأزمة الغذائية**، ص78.

[2]-الزياني، **الروضة السليمانية**، ص61.

[3]- محمد رزوق، **دراسات في تاريخ المغرب**، ط1، إفريقيا الشرق، دار البضاء، 1990م، ص119.

[4]- عبد العزيز السعود، **تطوان في القرن الثامن عشر (السلطة. المجتمع . الدين)** ، ط1، منشورات جمعية تطوان، 2007م، ص207.

[5]- محمد رزوق، **دراسات**، ص120.

2490 و 1000 جندي من المشارقة خاصة الأتراك و3000 من المغاربة، كما ضم أسطوله 15000 جندي من عبيد البخارى و7000 من الأحرار ومن رماة المدافع 40 وجعل عل ظهر كل قطعة 40 مدفعا، هذا فضلا عن جنود البحرية الذين وزعهم على مختلف الأبراج والموانئ مثل طنجة والعرائش والمهدية والرباط وسلا والمحمدية والدار البيضاء وأزمور وأسفي، أكادير[1].

هذا فيما يخص القوة التي كونت الأسطول المغربي، أما فيما يتعلق بمصادرة تمويله و تجهيزه فكانت تقم عبر مصدرين:

ـ المصدر الأول: عن طرق الاستيراد المباشر من دولّ أوربية وأخرى إسلامية ولاسيما انجلترا والسويد التان كانت تعدان مصدرا رئيسيا لتزويد الأسطول بالمواد الأولية إلى جانب الدولة العثمانية حيث أرسل عدد من السفراء إلى هذه الدول لجلب الذخيرة والمواد الازمة لبناء الأسطول[2].

وقد تتم عملية إصلاح السفن وترميمها خارج المغرب، كما هو الشأن في سفينة النصر التي كانت تحت رئاسة الحاج العربي المستيري حاكم سلا والتي تم ترميمها بإنجلترا عام 1766م، ولتطوير أسطوله الحربي استعان بخبراء عثمانيين مختصين في المجال حيث جلب من القسطنطينية عدد من الصناع المهرة في بناء الأساطيل وصنع القنابل والرمي بالمدافع وغيرها من الفنون الحربية الأخرى، فأرسل المختصين منهم لصناعة السفن بالرباط وفي صنع القنابل إلى تطوان وارسل أخرين إلى المدن المهمة لتعليم رماية المدافع مثل فاس.

كما تلقى السلطان عام 1768م مركب من قبل الباب العالي محمل بالمدافع والحبال والأشرعة وغير ذلك من الآلات البحرية، مصحوبة ببعث فنية تتكون من 30

[1]–الزياني، **الترجمانة**، ص18.

[2]–محمد رزوق، "**الجهاد البحري في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله**"، مجلة دعوة الحق، ع 274، 1989م، ص 36.

شخص ممن لهم دراية في الشؤون البحرية والحربية، أرسلهم إلى الموانئ المغربية فساهموا بقسط كبير في تطوير الأسطول[1].

– المصدر الثاني: الغنائم التي كان المغاربة يتحصلون عليها من خلال هاجماتهم البحرية على السفن الأوروبية في إطار ما يسمى بالجهاد البحري، الذي أولاه المولى محمد عناية فائقة مما أدى إلى تزايد نشاطه خلال هذه الفترة، ففي عام 1758م قدم كل من الرايس محمد عواد مانطة السلاوي والريس العربي المستيري سفينة سويدية، كما استول هذا الأخير في نفس السنة سفينتين برتغالية وسويدية، كما تم الاستلاء على العديد من المراكب الفرنسية[2].

وقد برهن الأسطول المغربي عن فعاليته وكفاءته من خلال قدرته على التصدي للأساطيل الأوربية وتمكنه من الدفاع عن الثغور المغربية أمام الأخطار الخارجية، ويذكر على سبيل المثال القدرات التي أظهرها حينما تصادم مع الأسطول الفرنسي إثر هجوم الفرنسيين على سلا عام 1764م ثم العرائش في العام الموالي، كرد على علميات القرصنة التي قام بها المغاربة ضد سفنهم ولكن الأسطول المغربي تمكن من التصدي لهم[3].

أما رجال الأسطول المغربي فكانوا موزعين على طبقات وأصناف يسجلون في كناش خاص يحمله البحارة معهم، فنجد فيه الطبقة الأولى وتمثل الرؤساء، ثم الطبقة الثانية وتمثل رياس العسة، الطبقة الثالثة تمثل نكاننجية ،الرابعة تمثل الدمانجية، السابعة تمثل الورديانات الطبقة السابعة تمثل البحرية، والتاسعة تمثل رجال النار، كما كان في البحرية المغربية خلال هذا العهد بحارة أفاقون يعملون كخبراء ومساعدين في الأسطول منهم الطرابلسي والصابونجي[4].

---

[1]– محمد خير فارس، المرجع السابق، ص **104**.

[2]– الضعيف، المصدر السابق، ص 166.

[3]– العقاد، المرجع السابق، ص252.

[4]– ابن زيدان، **الإتحاف**، ص304.

وعرف المغرب في هذه المرحلة بحارة أكفاء ومتمرسون في شئون البحر من أمثال مراد ريس الذي التحق بالقوات البحرية العثمانية بعد أن اشتهر أمره فعين قائد لأسطول السوس بالبحر الأحمر وامتد نشاطه إلى المحيط الهندي، ومن البحارة البارزين أيضا أبو الحسن علي مارسيل الذي ألحقه الهزيمة بالأسطول الفرنسي عند مهاجمته لثغر العرائش إلى جانب صلاح السلاوي، أحمد القرطبي، عواد السلوى قنديل السلوى صالح وغيرهم[1].

4- تحصين الثغور وتحريرها

4-1- تحصين الثغور

سعى المولى محمد بن عبد الله جاهدا لتحصين الثغور المغربية وتأمينها من الأخطار الخارجية المحتملة، ووضع خطة دفاعية لتحصين السواحل المغربية ويظهر ذلك جليا من خلال الزيارات التفقدية لثغور المغربية التي قام بها إثر توليه السلطة بين عامي (1758م - 1759م) وتعزيزها بالأبراج والمدافع والصقائل حيث أمر ببناء برج أثناء زيارته لمدينة تطاوين عرف ببرج مارتيل[2]، كما قام بزيارة تفقدية إلى مدينة سبتة التي كانت تحت السيطرة الإسبانية فقام بقصف المدينة في محاولة منه لاختبار مدى قوة التحصينات الإسبانية، فكان رد هؤلاء قويا مما جعل السلطان يصرف النظر عنها لعدم امكانية استيرادها بالنظر إلى إمكانيات الجيش المغربي المحدودة وعدم تكافئ ميزان القوى، فاكتفى بتعين حامية من أنجرة لحراسة حدودها ومراقبة تحركات الإسبان، وواصل السلطان جولته فمرّ على طنجة وزار العرائش التي كانت شبه خالية من السكان مع افتقادها لحامية كافية فزودها بنحو مائة من جيش العبيد، كما أمر ببناء برجين واحد في سلا والآخر في الرباط، وقام بتعزيز ثغر العرائش بالأبراج الدفاعية والمدافع إثر الهجوم الفرنسي عليه عام1775م[3].

[1]- المريني، المرجع السابق، ص106.

[2]-محمد رزوق، **الجهاد البحري**، ص37.

[3]-الكنسوسي، المصدر السابق، ص218.

4-2- تحرير الثغور

- البريجة

بعد تمكن المولى محمد من إعادة النظام الداخلي للبلاد وإقرار الأمن سعى للعمل على استرجاع الثغور المغربية المحتلة، فوجه جهوده لتحرير البريجة التي كانت تسيطر عليا البرتغال، والتي فشلت كل المحاولات المغربية في استرجاعها سواء تلك التي قام بها الشعب أو المحاولات العديدة التي قام بها مجاهدي دكالة، أو تلك التي تبنتها الجهات الرسمية لمؤسسة المخزن، منها محاولة الشيخ السعدي، ومحاولة عبد الله الغالب التي انتهت هي الأخرى بالفشل وقد استفاد محمد بن عبد الله من هذه التجارب في تهيئ الأرضية المناسبة لفتح المدينة وذلك من خلال مهادنة الدول الأوروبية لضمان حيادها فعقد معاهدة مع الدنمارك وحسن علاقته مع فرنسا، وضمن حياد اسبانيا[1].

وباستكمال الاستعدادات جهز عام 1768م حملة عسكرية لتحرير البريجة، تتألف من عدد كبير من الجنود والقبائل التي استدعها السلطان للمشاركة في الحملة على رأسها قبائل عبدة ودكالة إضافة إلى عبيد البربر والعرب، وهكذا خرجت الجيوش من مراكش إلى البريجة وفرضوا عليها حصار بري و بحري لمنع وصول الإمدادات العسكرية إلى البرتغاليين، ثم ما لبثوا يقصفونها بالمدافع والقنابل حتى أجبرت الحامية البرتغالية المتحصنة داخل أسوار المدينة الاستسلام بعد حصار طاليبين الأمن من السلطان فسمح لهم بالخروج على أن لا يحملوا معهم أي شيء، فانسحبت القوات البرتغالية من المدينة بعد أن قاموا بإحراق وتخريب كل ما بداخلها من عتاد وأثاث وحيوانات[2].

---

[1]-محمد رزوق، **دراسات**، ص123.

[2]- أبو القاسم بن سليمان المراكشي، **الحلل البهيجة في فتح البريجة**، مخطوطة مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الرباط، د ت، و32 ـ 33. 34.

وهكذا استرجع السلطان مدينة البريجة التي أمر بهدمها فسميت المهدومة، وأعاد بناءها من جديد وأسكن بها قبلتي بني ذويب وأولاد حسن من دكالة وأطلق عليها اسم الجديدة التي تعرف به إلى يومنا هذا[1].

- حصار مليلة

بعد تحرير السلطان لمدينة البريجة اتجهت أنظار نحو تحرير مليلة التي كانت خاضعة للاحتلال الإسباني، حيث فرض عليها حصار شديد عام 1770م مصحوبا برمي المدينة برمي بالمدافع والقنابل، منه لاسترجاعها حيث فرض عليه حصار شديد مصحوب برمي المدينة بالمدافع والقنابل، وفي غضون ذلك بعث الملك الإسباني كارلوس الثالث برسالة إلى السلطان يذكره فيها بمعاهدة صلح التي كانت قد تمت بينهما فرد عليه الأخير بأن معاهدة الصلح تتعلق بأمور البحر ولا يخص مضمونها البر ومليلة تقع في التراب المغربي فلا مهادنة عليها عندئذ أرسل إليه نص معاهدة الصلح المكتوبة بخط كاتبه الغزال والتي جاء فيها " المهادنة بيننا وبينكم برا وبحرا" فأنهى السلطان الحصار المفروض على المدينة وتم الصلح بين الطرفين[2].

المبحث الثاني: المجال الإداري والاقتصادي

1ـ المجال الإداري

1-1-إصلاح الإدارة المحلية

اقترنت الإصلاحات التي قام بها السلطان محمد لتنظيم هياكل الجهاز المغربي بإعادة تنظيم الإدارة المحلية التي أدخل عليها العديد من التعديلات، حيث أصبح الوزير المستشار بمثابة الوزير الأول الذي برز كعضو أيمن له، وأعطيت له مسئولية الإشراف عل العلاقات بين العمال والقواد.

وركز المولى محمد في تدبير شئون المخزن على البعد المحلي من خلال اعتماده على الزعمات المحلية التي كان يتم اختبارها من طرف السكان المعنين بالأمر وبالتراضي

[1]- نفسه.

[2]- محمد الأمين محمد، المرجع السابق، ص 225.

بين إرادتهم وإرادة السلطان[1]، كما أقر في بداية حكمه سائر موظفي والده من العمال والقواد في وظائفهم فلم يعزل أحد من قواد القبائل وعمال الحواضر إلا بعد الاختبار فلم يبقي إلا على الأكفاء منهم[2]، محاولا بذلك محو الصورة السلبية والقهرية التي طبعت السلطة لدى عامة الناس خلال سنوات الأزمة والمتمثلة في إخضاع السكان بفرض الضرائب ودفع الجبايات، ومن هنا فإن اللبنة الأساسية التي بنى عليها السلطان سياسة الداخلية تكمن في محاولة إصلاح العلاقة بين المجتمع والمخزن[3].

وقسم السلطان المملكة المغربية إلى 19 عمالة[4]، وطبق اللامركزية الإدارية في الحكم ويظهر ذلك من خلال تعين أبنائه كنواب له في بعض الأقاليم الهامة كتعينه لابنه علي خليفة له بفاس، والمأمون خليفة بمراكش وعبد الرحمان على آسفي، هذا وقد حرص السلطان محمد على مراقبة الأجهزة الإدارية و سيرورتها في الأقاليم، وذلك بتنظيم جلسات عامة للنظر في دعاوي الناس وشكاويهم لمعرفة سير هذه الأجهزة ووضع حد لنفوذ العمال والقواد وإنهاء تسلطهم عل الناس[5].

1-2- القضاء

ارتكز المبدأ العام الذي انطلق منه السلطان لإصلاح ميدان القضاء على المنظور الإسلامي لخطة القضاء، كونه جهاز مهما لتحقيق العدل بين الناس فانكب على إصلاح هذا الجهاز نظرا للفساد الذي طغى عليه من ضياع لحقوق الناس وشيوع شهادة الزور وانحراف القضاة عن الالتزام بالأحكام العادلة والاستقامة وتدخل الولاة في إصدار الأحكام القضائية، مما أفقد الناس الثقة في المؤسسة القضائية والسلطة الحاكمة[6]، وأبرز ما قام به

---

[1]-القبلي، المرجع السابق، ص433.

[2]- شوقي الجمل، المرجع السابق، ص 223.

[3]- سهيل، المرجع السابق، ص 71.

[4]- الزياني، **الترجمانة**، المصدر السابق، ص 17.

[5]- سهيل، المرجع السابق، ص71.

[6]-عبد الجليل بادوا، "**التحول الفكري في عهد سيدي محمد بن عبد الله**"، أعمال الدورة الثالثة جامعة مولاي علي الشريف، المرجع السابق، ص333.

في هذا المجال إصداره لمرسوم عام 1790م، ينظم القضاء ويقنن العلاقة بين المتخاصمين في بعض الجوانب، كما شرع لبعض القوانين الجديدة التي لم تكن سائدة من قبل[1]، وقام هذا الإصلاح على احترام استقلالية المؤسسة القضائية إذ تم تكوين هيئة من الفقهاء كسلطة تشريعية للقيام بهذه المهمة وحصر مهمة العمال في مراقبة تطبيق القضاة لتنظيماته القضائية، وفرض تشريعات خاصة لضبط سلوك القضاة في تعاملهم مع القضايا التي تطرح عليهم[2].

وحدد مرجعيات رجال الفتوى وقنن نظام العدول، كما أوضح هذا المرسوم عام 1790م المقاييس التي من الضروري اتباعها من قبل القضاة انطلاقا من المذهب المالكي عند حكمهم في أي قضية، مميزا فيها بين تلك التي يجب الالتزام بها في مجال العبادات وما يجب العمل في مجال المعاملات، وذكر أن أنواع المعاملات على خمسة أقوال: الأول بما هو متفق عليه والثاني ما أثبت فيه الحكم الأكثر وهو المعروف عند الفقهاء بالمشهور والثالث ما اختلف فيه على قولين إثباتا ونفيا، و الرابع ما أثبت الحكم فيه الأقل ويسمى المرجوح والخامس ما أثبت فيه الحكم رجل أو رجلان ونفاه الباقي وهو الشاذ[3].

وأمر القضاة بالإفتاء بالأقسام الثلاثة الأولى في مجال المعاملات أما القسم الرابع فيؤخذ به للعمل في العبادات، أما القسم الخامس فلا يعمل به أبدا والملاحظ أن السلطان شدّد على المعاملات كونها أكثر ما يتنازع عنه الناس، وهي على قسمين الأول يتعلق بالأحوال الشخصية من زواج وطلاق وما يتصل بهما، أما الثاني فيتناول مجال البيع والقرض وأموال الغائب والمحجور.

---

[1]–عبد الوهاب الدبيش، "**تنظيم القضاء على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله**"، أعمال الدورة الثالثة جامعة مولاي علي شريف، المرجع السابق، ص190.

[2]– الزبير مهداد، "**جهود السلطان محمد بن عبد الله في تنظيم مرافق الدولة وإصلاح العدالة**"، دعوة الحق، ع 345، ص9

[3]– أحمد علمي، "**الإتجاه المذهبي للسلطان سيدي محمد بن عبد الله**"، سلسلة الندوات رقم3، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع 8، وجدة، د ت، ص،ص 370. 371.

ويعتبر هذا الظهير قفزة نوعية في مؤسسة القضاء خلال هذه الفترة وذلك لما تميز به من مرونة واعتدال وقوانين جديدة تنظم وتشيع العدالة بين الناس على أساس التكافئ الاجتماعي[1]، وألح السلطان على القضاة بتسجيل وكتابة الأحكام في جميع القضايا التي يفصلون فيها في رسمين، يسلم إحداهما للمحكوم له تبقى حجة في يده كما حث القضاة على ضرورة استشارة الفقهاء قبل اصار الحكم ونهاهم عن الاستبداد بالرأي والانفراد بالقرار[2].

كما التفتت هذه الظهائر إلى الفئات الضعيفة في المجتمع فتناولت حقوق اليتامى والأموال والمعاملات، كما أولى السلطان عناية خاصة لأوضاع المرأة فمنع توكيل الزوج عن زوجته في المطالبة بحقوقها[3] حماية للمرأة وحتى لا يستخدم الزوج سلطته التقديرية ويتصرف في حقوق الزوجة و أموالها بدون وجه حق إلا أذا كان الزوج ابن عمها ورضت أن توكله عنها[4]، وحفاظا على مصالح الأسرة طالبهم بعدم سجن الزوج عند ما يتخاصم مع زوجته لأن في سجنه ضياع لأمواله، وحارب بعض الممارسات الشائعة التي كانت تؤدي إلى المشاكل الاجتماعية، مثل مسألة عدم تسديد الديون فأصدر قانون ينص بنفي من يعجز عن تسيد ديونه وإن عاد أدخل السجن[5].

2-المجال الاقتصادي

لما كان الوضع الاقتصادي للمغرب قد عرف تدهورا كبيرا أدى إلى اضطراب مالية الدولة خلال الفترة التي سبقت فترة حكم السلطان محمد، فقد سعى هذا الأخير إلى إصلاح هذا الجانب وتطويره هذا حيث عمل على وضع نظام جبائي جديد ينمي موارد بيت المال من خلال مصادر أخرى لا تضر الرعايا ولا تؤثر في معيشة الفقراء ولا يحتاج تطبيقه إلى قوة الجيش بل إلى ضبط وتدبير إداري جيد[6].

---

[1]- أحمد علمي، نفسه، ص372.

[2]- ابن زيدان، **الإتحاف**، ص 224.

[3]- القبلي، المرجع السابق،ص 432.

[4]- الزبير مهداد، المقال السابق،ص10.

[5]- القبلي، المرجع السابق، ص 432.

[6]-الزبير المهداد، المقال السابق، ص9.

2-1- الضرائب

كانت تعتبر الضرائب مصدر أساسي لتموين خزينة الدولة ولذلك كانت من أولى الإجراءات التي قام بها السلطان توظيف ضريبة المكس على الأبواب والسلع والمنتوجات الفلاحية بعد أن استصدر فتوة من العلماء بجواز فرضها لتغطية نفقات الجيش والإنفاق على المصالح العامة[1] كما فرض ضرائب الأعشار والزكاة على المنتوج الفلاحي إضافة إلى ذلك فرض العديد من الضرائب الأخرى عل السكان في الحواضر والبوادي، منها ضريبة "النايبة" وهي ضريبة غير محدودة كانت تفرض على القبائل غير المندمجة في الجيش وزيادة على هذه الضريبة فقد فرضت ضريبة أخرى تتعلق بتموين الجيش وتزويده بالمستلزمات الضرورية التي يحتاجها وتعرف بضريبة "الحركة" تلزم القبائل بدفعها أثناء حركة الجيش، أما فيما يتعلق بمقدارها فهي تختلف بالاختلاف أعداد الجيش وأهمية الحركة.

ومن الضرائب الأخرى أيضا ضريبة "الصخرة" تؤديها القبائل لمن يقوم بمهام لصالح الدولة، مثل ضريبة "الصخرة" وضريبة "الرقاصة" وكان يتم جبايتها من السكان بطريقة غير مباشرة[2]، وكذا ضريبة "الهدية" التي تؤدّى بالتضامن بين سكان البوادي والحواضر في الأعياد الدينية للسلطان وحددت منذ عهد قديم بألف مثقال من الذهب[3]، وضريبة "الزويجة" وهي عبارة عن قطعة أرض تقدر مساحتها بثمانية هكتارات، وضريبة "المفروضة" التي كانت تفرض عل بائع اللحم المشوي في الأسواق وكذلك الخضروات في أسواق الحبوب[4].

---

[1]- حركات، المرجع السابق، ص102.

[2]- سهيل، المرجع السابق، ص75.

[3]-حركات، المرجع السابق، ص454

[4]- سهيل، المرجع السابق، ص75.

2-2- الزراعة

شكلت الزراعة إحدى القطاعات التي اهتم المولى محمد بتطويرها وتحسينها مستفيدا من الظروف المناخية الملائمة و غياب الكوارث الطبيعية خلال السنوات الأولى لحكمه ففي عام 1758م سجل ارتفاع ملحوظ في كمية الإنتاج الزراعي[1].

ولدعم هذا القطاع وتحفيز الفلاحين قام بتطوير العتاد الفلاحي بدل من الآلات الزراعية التقليدية، كما قام بشق قنوات لإيصال المياه إلى الأراضي الزراعية، وحرصا منه على جودة المنتوج الزراعي والرفع من مردوديته عمل على تحسين البذور المستعمل في الزراعة[2]، وبنى العديد من المخازن في مختلف مناطق البلاد للاحتفاظ بالمحاصيل الزراعية وفي نفس الوقت شدّد على ضرورة دفع الضرائب المفروضة على المنتوجات الفلاحية، واهتم بإنشاء البساتين في المدن[3].

وبهذا ارتفعت كمية الإنتاج الزراعي خلال العقدين الأولين من حكمه، ولا أدلّ على ذلك لجوء السلطان منذ 1760م إلى تصدير المنتوجات الزراعية الفائضة عن الاستهلاك المحلي بعد أن استصدر فتوة من الفقهاء بجواز ذلك على أساس الحصول على الأسلحة والمواد الحربية[4]، وبالرغم من المجهودات التي قام بها السلطان في هذا المجال إلا أنّ الزراعة عرفت تذبذبات نتيجة الظروف الطبيعية المتقلبة، ففي عام 1776م عاش المغرب مجاعة شديدة استمرت إلى غاية 1786م، نتيجة انحباس المطر وهجوم أسراب الجراد على المحاصيل، كما يعتبر تصدير القمح أحد العوامل التي ساهمت في حدوثها[5]، مما اضطر المولى محمد بن عبد الله لاتخاذ العديد من الإجراءات، لتجاوز هذه الأزمة والتقليل من أخطارها بما فيها استراد المواد الغذائية من الدول الأجنبية وعلى رأسها القمح الذي كان يصدره قبل ذلك، كما قام بتوزيع الخبز والمؤونة على المحتاجين في المدن والبوادي ومنحت

---

[1]- الأمين بزاز، **الأوبئة**، ص69

[2]- سهيل، المرجع السابق، ص76.

[3]- الزياني، **البستان**، المصدر السابق، ص416.

[4]- حركات ، المرجع السابق، ص103.

[5]-البزاز، **الأوبئة**، ص70.

أموال طائلة للقبائل في شكل ديون لم يطالب بردها بعد تحسن الأوضاع بل أسقطت عنهم كما أعطى مثل ذلك للتجار لجلب المواد الغذائية من أوروبا بشرط أن يبيعها بثمن التكلفة[1].

2-3- التجارة

شكلت التجارة محور اهتمام السلطان محمد بن عبد الله الذي اعتمد عليه لتنمية موارد الدولة حيث كان لها الأثر الكبير في انعاش الحياة الاقتصادية، فبالنسبة للتجارة الداخلية كانت تتم عن طريق الأسواق الأسبوعية في البوادي و الأسواق اليومية في المدن، إذ كانت لبعض المدن مثل مدينة فاس ومكناس وطنجة أسواق تقام يوميا خلف الأسوار التي تحيط بهذه المدن لعرض المنتوجات الصناعية والزراعية، وكان الكثير من التجار يرتادون هذه الأسواق لغرض الحصول على الأصواف والجلود والخشب[2].

ولم يقتصر اهتمام السلطان على التجارة الداخلية فقط بل تعدى الأمر إلى التجارة الخارجية للبلاد، حيث اعتمد سياسة الانفتاح التجاري على الأسواق الأوروبية فنشطت بذلك حركة المبادلات التجارية التي كانت تتركز في الموانئ المنتشرة في معظم السواحل المغربية وكانت هذه التجارة تدر أموالا طائلة على خزينة الدولة، من خلال رسوم الجمارك[3].

إنّ التجار الأوربيون كانوا يجلبون إلى المغرب مختلف البضائع مثل: الحرير، الفضة، السكر، الشاي، الكبريت، الحديد والرصاص... وغيرها من المنتجات الأوروبية أما صادرات المغرب فهي الجلد، والملح، والتمر، والأدوات النحاسية، والصوف، والشمع، والزيت بالإضافة إلى القمح الذي يتم تبادله بالعتاد الحربي.[4]

كما شجع الأمن المتوفر تجارة القوافل التي كانت تتم مع الدول الإفريقية وإن كانت لا تساهم سوى بقسط ضئيل في مداخيل الدولة بالمقارنة مع مداخيل التجارة الخارجية وكانت

---

[1]- مجهول، **تاريخ الحضارة الإسلامية في المغرب**،ط2، دار الثقافة، دار البيضاء، 1986م، 370.

[2]- سهيل، المرجع السابق، ص77.

[3]- منير روكي، "**التجارة في المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر بين ميكانيزمات التجارة وحضور الأجنبي**،" مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، ع 10، جامعة المحمدية، المغرب، 2015م، ص ص 26. 27.

[4]- مجهول، **تاريخ الحضارة الإسلامية**، ص 371.

هذه التجارة تتم عبر طريقان واحد ينطلق من تافيلالت والآخر من واد نون، كلاهما يمران بالصحراء ويصلان إلى تمبكتو[1].

المبحث الثالث: المجال الثقافي

أخذ موضوع الحياة الفكرية والدينية قسط كبير من انشغالات محمد بن عبد الله، إذ عمل على تنشيط الحركة العلمية واهتم بإصلاح الجانب الديني.

1ـ التعليم

1-1- تنظيم البرامج والمناهج

أدخل السلطان إصلاحات على البرامج التعليمية بما يضمن متانة التكوين لدى الطلبة وتجنيبهم المسالك الوعرة التي لا فائدة منها، وقد وضع مؤلف خاص لذلك أسماه "مواهب المنان بما يتأكد تعليمه للصبيان" وهو عبارة عن برنامج استخلصه من خلال متابعته للواقع التعليمي للمغرب وما أصبحت عليه المؤسسة التعليمية، من ضعف والغاية منه توعية المعلمين وتوجيههم إلى الطريقة المثلى في عملية التدريس، إذ حثهم على مراعات القدرات الذهنية لكل متعلم والتدرج في مواد التدريس من العام إلى الخاص، ومن السهل إلى الصعب[2]، وكان التعليم يتم عبر مرحلتين:

المرحلة الأولى: تقتصر على تعلم الكتابة والقراءة وحفظ القرآن والمبادئ الأساسية للإسلام ويتحمل المسؤولية في هذه المرحلة كل من المعلم والوالد، أما المرحلة الثانية: ينتقلون إلى ما بعد التعليم القرآني وتتكون هذه المرحلة من مستويين ثانوي وعالي يهيئ فيها الطلبة لوظائف إدارية بسيطة[3].

ويظهر اهتمام المولى محمد بتطوير برامج التعليم جليا من خلال المنشور الذي أصدره عام 1789م، لإصلاح التعليم بجامع القرويين، حث فيه على دراسة المصادر

---

[1] –محمد حباني،"**سياسة المولى سيدي محمد بن عبد الله بالأقاليم الصحراوية**"، أعمال الدورة الثالثة جامعة مولاي علي الشريف، المرجع السابق، ص175.

[2]– القبلي، المرجع السابق، ص 433.

[3]– نفسه.

الأصلية وأمهات الكتب والابتعاد عن كتب الفروع والمختصرات التي شاعت في بلاد المغرب[1] وقد أورد في منشوره هذا قائمة الكتب التي ينبغي تدريسها وتداولها بين طلبة العلم كما حدد ما يمنع منها، ففي الحديث النبوي مثلا أمر بالاعتماد على الكتب الصحيحة مثل صحيح البخاري ومسلم والمساند، ولاتقان اللغة العربية وفهم معانيها كونها عنصر أساسي لفهم القرآن الكريم والحديث الشريف والقدرة على التأليف والشرح والتفصيل في مختلف ميادين المعرفة، أشار إلى كتب النحو والصرف، "كالتسهيل والألفية" ونهى عن تناول كتب المختصرات كمختصر ابن خليل، كما لم يهمل الرياضيات والحساب وشجع على دراستها إذ خصص لها ميزانية خاصة من الأوقاف[2].

1-2- تشجيع حركة التأليف

شهدت حركة التأليف في عصره نشاطا كثيفا وذلك راجع لسياسته التي انتهجها في هذا المجال الذي خصه بعناية كبيرة من خلال تشجيعه للعلماء والطلبة على تحصيل العلوم والمعارف وتأليف الكتب ونسخها، حيث أسند مهام علمية لعلماء عصره فأشار عليهم أن يؤلفوا و ينسخوا بعض الكتب في مختلف الفروع[3]، وقد ظهرت خلال هذه الفترة عدد من المؤلفات التي أمر بتأليفها منها: "رحلة الغزال نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد"، "ورحلة المكناسي الإكسير في افتكاك الأسير"[4].

وحظي العلماء في عهد بعناية كبيرة، إذ عظّم شأنهم ورفع منزلتهم وأغدق عليهم بالهدايا والعطايا السخية، لتحفيزهم وبث روح المنافسة العلمية بينهم و حتى يتفرغوا للتأليف

---

[1]- مفيد الزيدي، "**تطور التعليم في المغرب الأقصى في العهد العلوي(1664م . 1912م)**"، كلية الآداب جامعة بغداد، مركز التحقيقات كاستر، ص17.

[2]- عبد الهادي التازي، **القرويين**، ص723.

[3]- محمد بن شريفة، "**من الإنجازات الثقافية في عهد سيدي محمد بن عبد الله كتاب موسوعة الأغاني لأبي فرج الأصفهاني**"، أعمال الدورة الثالثة جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، المرجع السابق، ص275.

[4]- الصادقي العماري، "**الحركة الأدبية في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله**"، سلسلة الندوات والمناظرات والعلوم الإنسانية رقم 8، مجلة كلية والآداب والعلوم الإنسانية، ع8، وجدة ص 96.

والتدريس وقلد بعضهم مناصب عليا في البلاد، وأبرز هؤلاء أبو القاسم الزياني، الذي كتب 25 كتاب ظهرت كلها بعد وفاته[1].

وكان السلطان محمد نفسه عالما متفقها في مختلف العلوم، إذ ترك بصمته في حقل التأليف فألف العديد من الكتب أبرزها: "الفتوحات الإلاهية الكبرى والصغرى"، "الجامع الصحيح المستخرج من ستة مسانيد"، "بغية ذوي البصائر والألباب في الدرر المنتخبة"[2]، وقد لقيت هذه الكتب استحسان الطلبة والعلماء الذين أقبلوا على شرحها وتدريسها، كما كان لها صدى واسع في أقطار العالم الإسلامي ولم يهمل السلطان الجانب المتعلق في المكتبات العلمية وخزائن الكتب التي قام بإصلاحها وتعميرها، وشدّد على حفض ما فيها من كتب ومنع إخراجها إلا بالإشهاد حرصا على حفضها وصيانتها من التلف والضياع[3]، وأوقف العديد من الكتب على الخزانات العلمية في مختلف المدن المغربية، حيث أوقف ما يزيد عن اثني عشر كتاب كانت في خزانة جده المولى اسماعيل، أمر بتوزيعها على مساجد المغرب لينتفع بها أهل العلم ورواده[4]، واهتم بمجال الطب والرياضيات وحفز على دراستهما فنشطت حركة التأليف وانتعشت مختلف المكتبات[5].

1-3- المجالس العلمية

عقد المولى محمد العديد من المجالس العلمية التي كان يحضرها صفوة من العلماء الذين يختارهم بنفسه، وتنوعت المجالس العلمية في عهده بين مجالس خاصة وأخرى عامة:

---

[1]- الزيدي، المقال السابق، ص 15.

[2]- محمد بن عبد الله، **مواهب المنان بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان**، صح أحمد العلوي عبد اللوي، د ط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1996م، ص18.

[3]- محمد التوهامي الوكيلي، "**المولى سيدي محمد الثالث**"، مجلة دعوة الحق، ع 237، د ت، ص 30.

[4]- بوركبة، المرجع السابق، ص 334.

[5] - عبد الله كنون، **النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج1، ط2، د د ن، د ت**، ص211.

- **المجالس الخاصة**

هي تلك المجالس التي كان يعقدها دوريا كل يوم جمعة في جامع الكتيبية بمراكش يحضرها نخبة من العلماء المقربين[1]، تناقش فيها مختلف المسائل العويصة التي كان يطرحها السلطان كما يتم فيها دراسة الحديث وشرحه وتفهم معانيه، وسرعان ما تطورت هذه المجالس وأصبحت منبر للتأليف والتصنيف، وانطلاق منها تم استخلاص المناهج التربوية الشاملة لإصلاح التعليم[2]، ومن العلماء الذين اختارهم ليكونوا في مجلسه نذكر على سبيل المثال: عبد الله المنجرة، والطاهر السلوي، وأبي عبد الله بن الشاهد[3].

ـ المجالس السلطانية العامة

إلى جانب المجالس السلطانية الخاصة التي كان يعقدها السلطان كانت له مجالس علمية عامة موازية لها، ينظمها في أوقات فراغه مع علماء عصره في مختلف العلوم والأدب وهي بمثابة مجالس ترفيهية للترويح عن نفسه وعن الأئمة والعلماء من أعضاء مجالسه الخاصة، وهي مفتوحة لجميع العلماء الراغبين في الحضور، فكان يلقي عليهم خلالها بعض المسائل الغريبة ليخلق روح المنافسة بينهم[4].

2- المجال الديني

تبنى السلطان النزعة السلفية أساسا للإصلاح في المغرب الأقصى، التي تقتصر على العقيدة المأخوذة من الكتاب والسنة دون أي تأويل، فقد كان يرى أنه لا سبيل للوصول إلى ما يهدف إليه من إصلاح أمته إلا بالرجوع إلى طريقة السلف الصالح والعودة إلى منابع السنة والأخذ منها والاهتداء بها[5]، و نهى عن قراءة كتب التوحيد المؤسسة على ضوء القواعد الكلامية للعقيدة الأشعرية، مفضلا المذهب الحنبلي لأنهم صاروا على المنهج السوي الذي رسمه لهم أحمد بن حنبل عندما سد طريق الخوض في علم الكلام والجدال، إذ كان

---

[1]- الزياني، **الترجمانة**، ص18.

[2]- محمد علي بن الصديق، "**سيدي محمد المصلح المحدث**"، مجلة دعوة الحق، ع1957،291م، ص66

[3]- الزياني، **الترجمانة**، ص18.

[4]- أسية البلغيثي، المرجع السابق، ص ص 353. 355.

[5]- محمد علي الصديق، المقال السابق، ص67 .

يصرح بأنه مالكي المذهب حنبلي العقيدة[1]، وبموجب هذا الفكر الذي آمن به، وسعيا لتحقيق برنامجه الإصلاحي عمل على مناهضة الطرق الصوفية من خلال تقليص النفوذ أرباب الطرق والزوايا الضالة في البلاد، فأقدم على هدم زاوية أبي الجعد[2] التي كانت ملجأ للفارين من السلطة، و كادت الزاوية الناصرية أن تلقى نفس المصير 1788م[3].

وبالرغم من أن المذهب الذي كان سائد في المغرب الأقصى هو المذهب المالكي إلا أن ذلك لم يمنعه من التفتح على المذاهب الأخرى، فلم يفرق بين أي مذهب من المذاهب الأربعة لذلك جلب من بلاد المشرق مساند الإمام أحمد بن حنبل، ومسند الإمام بن حنيفة ومسند الإمام الشافعي إلى المغرب من أجل دراستها[4]، وفي المنشور الذي أصدره عام 1756م منح للناس حرية اختيار أئمة المساجد وأعطاهم كامل الصلاحية لرفض أي إمام لا يرضونه وتنصيب من يروا فيه أهلا لذلك أو من يقع عليهم اختيار الجماعة ويحضون بقبوله[5].

3- العمران

إذا كان عهد المولى محمد بن عبد الله قد عرف لدى المؤرخين بسياسته الإصلاحية والانفتاح على العالم الخارجي، فإن هذه الحقبة من تاريخ المغرب شهدت أيضا نهضة عمرانية شاملة، تنوعت بين القصور و المساجد والأضرحة والمدارس والحدائق والبساتين، إذ يذكر الناصري 35 مسجدا و جامعا منها ما أسسه ومنها ما جدده[6].

---

[1]- عبد الله الحسيسن، "**موقف محمد بن عبد الله العلوي من كتب الفروع**"، مجلة دعوة الحق، ع 135، د ت، ص 8.

[2]- هي من أشهر زوايا المغرب الأقصى، وقد التف حولها العديد من طلبة العلم والفقه وكان شيخها أبي عبد الله بن محمد بن عربي بن الشيخ الأكبر المعطي التي قدادها السلطان محمد بن عبد الله، الناصيري، **ج8**، ص59.

[3]- حركات، المرجع السابق، ص 106.

[4]- محمد الأخضر، **الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية (1664-1894م)** ، ط1، دار الرشاد الحديثة، دار البيضاء، 1977م، ص273.

[5]- ابن زيدان، **الدرر الفاخرة**، ص61.

[6]- لحسن تاوشيخت، "**المنجزات العمرانية للسلطان سيدي محمد بن عبد الله بمنطقة تافيلات**"، أعمال الندوة الثالثة جامعة مولاي علي الشريف، مركز الريصاني، 1991م، ص393.

ومن أهم المساجد والأضرحة التي أسسها ضريح الشيخ الجزولي ومسجده، ضريح ومسجد الغزواني، مسجد الملوك ببريمة، المسجد الأعظم بباب دكالة، والمسجد الأعظم بباب هيلانة كما اهتم بتجديد وبناء المدارس كتجديد مدارس القصبة الستة وبناء مدرسة الصهريج ومدرسة دار البيضاء و مدرسة باب عجيسة بفاس[1]، أهم ما أنجزه في هذا الميدان هو تأسيسه للعديد من المدن لا تزال قائمة إلى اليوم منها: مدينة الصويرة التي زودها بالقلاع والأبراج وأصبحت مرفأ تجاريا هام، وكذا تأسيس مدينة آنفا التي تعرف اليوم بالمحمدية وزودها هي الأخرى بالقصور والمساجد والمدارس والحمامات ومختلف المرافق الضرورية بالإضافة إلى بناء مدينة فضالة، التي حصنها بالأبراج والمعاقل مثل برج مارتيل، كما له منجزات عمرانية لا يمكنها حصرها جميعا في كل من طنجة والمهدية ورباط الفتح والعرائش وغيرها من المدن[2].

[1]– المشريفي، المصدر السابق، ص29.

[2]– ابن زيدان، **الإتحاف**، ص386.

الخلاصة

مما تقدم يمكن القول أنّ المغرب الأقصى عرف ازدهارا وتطورا في حكم السلطان محمد بن عبد الله بإدخال إصلاحات في مختلف المجالات الاقتصادية والعسكرية والإدارية والثقافية، مواجها في ذلك كل التحديات الداخلية بالتدبير والتخطيط السليم، إذ أنه لم يركن للأمر الواقع بل سعى جاهدا لتنظيم الدولة وتحقيق الأمن والاستقرار، فنظم الجيش وعمل على انعاش الاقتصاد وإعادة هيكلة الإدارة، كما جعل العلوم والآداب تنتعش في البلاد وأعاد الاعتبار للأصول في العقيدة. وقد استطاع المولى محمد إنقاذ المغرب الأقصى من الأزمة الداخلية، ليتفرغ بعد ذلك لوضع خطط جديدة تمكنه من إبراز هبة المغرب الدولية والتصدي للأخطار الخارجية.

الفصل الثالث:

السياسة الخارجية للمولى محمد بن عبد الله.

المبحث الأول:علاقات مع الدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية.

المبحث الثاني:علاقاته مع الدول الإسلامية.

إن كان عهد السلطان محمد بن عبد الله قد شهد تحولات داخلية بارزة، من خلال قيامه بإصلاحات شملت معظم الميادين الاقتصادية والعسكرية و الثقافية والإدارية، قصد تنظيم البلاد وإضفاء الاستقرار، فقد عرف المغرب الأقصى خلال هذه الفترة تحولات عميقة على الصعيد الخارجي، فتبنى السلطان سياسة جديدة طبعت علاقاته الخارجية مع الدول الأوروبية والدول الإسلامية.

المبحث الأول: علاقاته مع الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية

1ـ العلاقات المغربية الإسبانية

شهد عهد المولى محمد عبد بن الله تطورات في العلاقات المغربية الإسبانية حيث عرفت نوع من التقارب لتحقيق المصالح والأهداف المشتركة السياسية منها والاقتصادية فرغم سعي السلطان المغربي محمد بن عبد الله لتحرير المراكز المحتلة من طرف الإسبان إلا أنه ارتأى ضرورة التمهل وعدم الاستعجال في تحقيق ذلك نظرا لمحدودية امكانياته العسكرية مقارنة بقوة التحصينات الإسبانية ، ولم تكن أوضاع إسبانيا الداخلية ولاسيما العسكرية أفضل من حالة المغرب، حيث تراجعت قواتها كما أرهقتها النفقات الكثيرة التي كانت تصرفها على القلاع المغربية الخاضعة لها دون ان يكون له مردود اقتصادي[1].

وأمام هذه الظروف أبدى الجانبين استعدادهما لتحسين العلاقات بين الدولتين وتمتين دعائم التعاون لتحقيق المصالح السياسية والدبلوماسية والاقتصادية المشتركة بينهما، فسعي السلطان إلى مهادنة الإسبان وفتح أبواب التعاون معهم، يدخل في اطار السياسة الجديدة التي تبناها وهي الانفتاح على العالم الخارجي سعيا منه إلى إعادة تنظيم البلاد التي انهكتها الحروب الأهلية والفتن السياسية و التي صاحبها تدهور اقتصادي ونقص المداخيل البحرية التجارية، مما أجبره على انتهاج هذه السياسة ومهادنة الدول الاوروبية التي يمكنه أن يجد عندها الموارد المادية والعتاد العسكري الذي يحتاج إليه لتطوير الأسطول[2]، إضافة إلى رغبته في اقامة علاقات تجارية مع هذه الدول للنّهوض بالاقتصاد المغربي من خلال توفير

[1] – محمد خير فارس، المرجع السابق، ص113.

[2] – السعود ، المرجع السابق، ص159.

المواد والسلع التي يحتاج إليها، وكذا ضمان عائدات جمركية مهمة التي أصبحت المورد الأساسي لخزينة الدولة لاسيما بعد تراجع التجارة الصحراوية وكانت اسبانيا من أكثر الدول المؤهلة لذلك[1].

ومن جهة الملك الإسباني "كارلوس الثالث" [2]عمل على إقامة علاقات سلمية مع المغرب الأقصى بسبب انشغال اسبانيا بالحروب التي كانت تجري في مستعمراتها بأمريكا الجنوبية وتخوفه من توسع الإنجليز على حساب مناطق نفوذهم، فسعى إلى كسب ودّ السلطان المغربي ليقطع أي إمكانية لقيام تحالف بين الإنجليز والمغاربة وليضمن بذلك المصالح التجارية والدبلوماسية لإسبانيا بالمغرب، وقد اختلفت العلاقات بينهما حسب الظروف وارتكزت على العديد من القضايا وأهمها قضية الأسرى وتحريرهم التي حركت العلاقات الدبلوماسية يبن الجانبين حيث اهتم كل منهما بتحرير أسراه الذين كانوا يؤسرون أثناء المواجهات البحرية بين السفن سواء عن الجانب المسيحي أو من الجانب الإسلامي[3].

وهكذا كانت أولى الاتصالات بين المغرب وإسبانيا بهذا الخصوص بمبادرة من السلطان محمد، الذي أرسل رسالة [4]إلى نظيره الملك الإسباني يطلب منه تحرير الأسرى الذين عنده ويوصيه بحسن معاملتهم، وذلك بعد تلقيه رسالة من هؤلاء الأسرى في اسبانيا يشكون إليه سوء حالهم والأوضاع المزرية التي يعيشونها وإجبارهم على القيام بالأعمال الشاقة لخدمة المصالح المختلفة لإسبانيا[5]، فرد عليه الملك الإسباني بتحرير الكثير من

---

[1]–المستعين عبد الباسط ، "**أثر السياسة الخارجية للمخزن على المدينة المغربية خلال العصر الحديث**"، مجلة المناهل، ع24، المغرب، 2014م، ص 75 .

[2]– ملك إسبانيا من الأسرة البر وبونية توجه ملك على عرش نابولي عام 1730م، ثم تنازل عنه لابنه فردنان دوا الرابع ليعود إلى اسبانيا في حرب السبع سنوات (1756م . 1763م) بين انجلترا وفرنسا كانت له علاقات متميزة ومتواصلة مه السلطان محمد بن عبد الله، ينظر : سهيل، المرجع السابق، ص 106.

[3]–حركات، المرجع السابق، ص 114.

[4] – ينظر الملحق رقم 2.

[5]– ابن زيدان، **الإتحاف، ج4**، ص 360.

الأسرى ووعده بإطلاق سراح الباقي منهم في أقرب فرصة، وبعث إليه وفد من القسس والضباط مع هدية وكتاب يتضمن عبارات الود والصفاء[1].

وفي عام 1768م بعث السلطان رسالة أخرى إلى الملك الإسباني طالبا فيها للمرة الثانية تحرير ما بقي تحت يده من أسرى، فأجابه هذا الأخير بأنه لم يبقى عنده أي أسير مغربي ولكن الذين بقوا عندهم هم أسرى جزائريون ودعاه إلى التوسط بينهم وبين الجزائريين لتحرير أسرى الطرفين[2]، وقد نجح في افتداء هؤلاء الأسرى بما يقابلهم من أسرى إسبانيا بعد ثلاث محاولات فاشلة مع داي الجزائر وبلغ عدد الذين افتداهم حوالي 1600 أسير[3].

واذا كانت قضية تحرير الأسرى هي أول قضية ذات طابع سياسي فتحت المجال لحدوث الاتفاق بينهما، فإن الجانب التجاري ساهم هو الأخر في فتح مجال التقارب بينهما فمع التطورات التي عرفتها التجارة العالمية في تلك الفترة والتي انتقلت من البحر الأبيض المتوسط إلى المحيط الأطلسي و ما أصبحت تكتسيه إفريقيا الغربية من أهمية بالنسبة لأوروبا، سعى كل من السلطان المغربي والملك الإسباني إلى ربط علاقات تجارية تدعم ركائز التبادل التجاري، وبذلك يمكن اعتبار الجانب التجاري من أبرز المسائل التي نشطت العلاقات بين الطرفين ويتجلى ذلك في تبادل السفارات والبعثات وإبرام المعاهدات التي وثقت العلاقات بشكل رسمي[4].

ولنتعرف أكثر على طبيعة العلاقات المغربية الإسبانية سنتطرق إلى أهم البعثات على عهد المولى محمد بن عبد الله ومعرفة ما تضمنته من أهداف ونتائج:

---

[1] . محمد الأمين محمد، محمد علي الرحماني، المرجع السابق، ص227.

[2]. نفسه، ص227.

[3]. حركات، المرجع السابق، ص114.

[4]. سهيل، المرجع السابق، ص147.

- بعثة الغزال 1760م

تعتبر من أهم البعثات المغربية إلى إسبانيا عام 1760م ، وكانت المهمة الرئيسية لها فتح أبواب التعاون والسلم بين الجانبين وتفقد أحوال الأسرى المسلمين والتحقق من أعداد أسراهم، والرغم من أنّ هذه البعثة لم تتمكن من تحقيق أهدافها المتمثلة في إقامة التعاون والسلم بين الجانبين ولم تتوصل إلى أي اتفاق رسمي ونهائي في هذا الشأن، إلا أنها تمكنت من دفع العلاقات إلى الأمام وتحقيق بعض النتائج الإيجابية التي أسهمت في تحسين العلاقات مستقبلا حيث أكسبت هذه البعثة المغرب مكانة دولية بين البلدان من خلال الدور الدبلوماسي الذي أداه السفير "الغزال" وما أظهره من حنكة سياسية، كما تمكن من تحرير الكثير من الأسرى المسلمين الذي كانوا في إسبانيا واستطاع فتح أبواب التبادل التجاري مع اسبانيا[1].

وقد عاد "الغزال" إلى المغرب مرفوق بالسفير الإسباني "خورخي خوان" الذي أرسله "الملك كارلوس الثالث" لإنهاء الترتيبات التي بدأها "الغزال" والذي كان يحمل معه نص مشروع معاهدة اتفاق والسلم، فتم التوقيع عليها بعد مفاوضات تمهيدية مع محمد الثالث في 28 ماي1767م، وقد تضمنت هذه الاتفاقية 19 بندا من أهمها:

ـ الشرط الأول: إقرار السلام والأمن بين البلدين في البر و البحر.

ـ الشرط الخامس: نصّ على حرية التنقل وحرية التجارة بين المغرب واسبانيا.

ـ الشرط السابع: أعطي لإسبانيا حق تعين قنصل لها ونائب قنصل في الموانئ المغربية وأن يكون لهذا القنصل حق التشريع المدني والجزائي على رعايا الإسبان، وأن يحظى هذا الأخير بكل الاحترام من طرف السلطان.

ـ الشرط الثامن: منح الإسبان حق احتكار الصيد بالسواحل المغربية من أغادير حتى شمال المغرب.

[1]–سهيل، المرجع السابق، ص148.

ـ الشرط العاشر: يلتزم كل من الطرفين برد الفارين حيث جاء فيه " الهارب منا المدن الأربعة سبتة ومليلة والنكور وباديس يرده المغاربة للموضع الذي أتى منه و لا يقبلوه إلا إذا أسلم وكذلك الإسبان يلتزمون برد من هرب منهم".

ـ الشرط الحادي عشر: نصّ على تحرير الأسرى بين البلدين فإذا دخل أسير اسباني إلى المغرب فهو محرر ومن هرب من أسرى المسلمين إلى إسبانيا فهو محرر[1].

ـ الشرط الثامن عشر: رفض فيه السلطان السماح للسلطات الإسبانية بإقامة مركز صيد على شاطئ واد نون بحجة عدم ضمانه لحمايتهم من غارات السكان الرحّل الخارجين عن سلطته[2].

وقد منحت هذه المعاهدة بعدا دبلوماسيا وسياسيا جديد في تاريخ العلاقات المغربية الإسبانية وحددت القاعدة التي ستبني عليها هذه العلاقة، والمتمثلة في التعاون التجاري فنشطت حركة التبادل التجاري بين الطرفين مع توفير شروط الأمن وحرية التنقل .

ولكن هذا الوضع لم يستمر طويلا فقد تدهورت العلاقات بين المغرب واسبانيا بعد الحصار الذي فرضه المولى محمد بن عبد الله على مدينة مليلة عام 1760م، فاحتج الإسبان على ذلك وذكّروه بشروط معاهدة الصلح التي تمت بينهما فرد هذا الأخير عليهم أن المهادنة تتعلق بأمور البحر فقط ولا تخص البر، فأجاب الإسبان بأنهم سيشعلونها حربا برية وبحرية وعلى العموم فقد باء هذا الحصار بالفشل نتيجة ضعف الامكانيات التي وضعها السلطان أمام قوة الامكانيات الإسبانية و مقدرتهم الدفاعية[3].

[1]–عبد العزيز السعود، المرجع السابق، ص ص 162. 163.

[2]– حركات، المرجع السابق، ص 114.

[3]– سهيل، المرجع السابق، ص190.

ـ بعثة "المكناسي" (1779م– 1780م)

لقد جاءت هذه السفارة بعد الفتور الذي عرفته العلاقات بين المغرب وإسبانيا إثرا مهاجمة السلطان لمليلة، وقد كانت المهمة الرئيسية لهذه البعثة العمل على تجديد الصلح و إحياء العلاقات من جديد كما أوكلت إليها مهمة افتداء الأسرى أكتوبر 1779 م[1].

وقد أسفرت هذه البعثة عن توقيع اتفاقية للصداقة والتجارة بين البلدين في مدينة أران خويت بإسبانيا بتاريخ 30ماي 1780م بعد مفاوضات بين الوزير "ابن عثمان" والوزير المفوض من طرف الملك الإسباني "كوندن فلوريد بلا نكا"، وقد تبنت هذه المعاهدة شروط معاهدة1767م كما تضمنت بنود إضافية تخص التجارة والملاحة واستقرار التجار الإسبان في الموانئ المغربية مثل تطوان وطنجة والعرائش وسلا والصويرة، كما منحت إسبانيا للسلطان المغربي حق كراء السفن الإسبانية بغرض استخدمها في نقل البضائع وقبل المغرب تموين جبل طارق في تمكنت اسبانيا من استرجاعه من يد الانجليز، كما منح الرعايا الإسبان حق امتلاك عقارات في المغرب[2]، ونصت هذا الاتفاق في شرطه العاشر على إمكانية انضمام ملك الصقيليتين إليه حتى يستفيد من الامتيازات التي يوفرها وتتوقف الحرب بين النابوليتين والمغاربة[3].

ـ البعثة الثانية "لمحمد بن عثمان المكناسي"(1781م ــ 1782م)

بعد أن أظهر "محمد بن عثمان المكناسي" حنكته في مجال المعاملات السياسية من خلال النجاح الدبلوماسي الذي حققه في بعثته الأولى إلى إسبانيا والتي انتهت بتوقيع معاهدة السلم في مدينة "أرنخوايت" 1780م، أرسله السلطان في بعثة أخرى إلى نابولي ومالطا اللتان قد سبقت إشراكهما في المعاهدة السابقة الذكر وكانت المهمة الرئيسية لهذه البعثة تحرير الأسرى المغاربة، كما كان كانت مهتمه مكملة للبعثة الأولى وهي لا تخرج عن

[1]– محمد جادة، "**الملاحة في اتفاقيات المغرب الدولية خلا النصف الثاني من القرن الثامن عشر**"، البحر في تاريخ المغرب، سلسلة ندوات رقم7، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،جامعة مولاي حسن الثاني المحمدية، ص254.

[2]– جادة،نفسه، ص255.

[3]– نفسه، ص256.

نطاق توطيد العلاقات بين البلدين وارساء دعائم السلم والتعاون، وبمأن مالطا ونابولي جزء لا يتجزأ من اسبانيا حيث كان يحكمها "فرناندو الرابع" ابن الملك "كارلوس الثالث" فقد كان يجب على السلطان أن يرسل إليها بعثة لأبرام معاهدة الصلح، لاسيما وأنه المعاهدة الأولى التي أبرمها السلطان محمد بن عبد الله مع "كارلوس الثالث" قد خصصت البند العاشر منها لاستفادة ابن الملك الإسباني منها[1].

قد توصل الطرفان إلى عقد معاهدة صلح بينهما، وقعها كل من السفير "محمد بن عثمان" والملك "فرديناندو الرابع" وقعها في 19 أكتوبر 1789م، وقد ضمنت هذه المعاهدة خمسة بنود نصت في مجملها على حرية التجارة بين البلدين وضمان الأمان للتجار ومنح بعض الإمتيازات لرعايا نابولي في المغرب بما فيها حرية السكن والكراء[2]،كما نجحت هذه البعثة في تحرير العديد من الأسرى المسلمين[3].

وبذلك استطاعت تحقيق نوع من التقارب والتفاهم السياسي والتجاري بين كل من المغرب وبين نابولي و مالطة.

وبذلك فإنّ العلاقات المغربية الاسبانية في عهد محمد بن عبد الله عرفت تحول جديد في تاريخ العلاقات الدبلوماسية للبلدين، فبعد أن كان يغلب عليها الطابع العدائي في معظم مراحلها إن لم نقل كلها متقلبة بين العداء والحرب ولاسيما في عهد جده المولى اسماعيل ويرجع ذلك أساسا الى احتلال الاسبان للعديد من المواقع المغربية وتخريبهم لأخرى وإقدام هذا الاخير على تحرير ثغوره الممتدة على الساحل الاطلسي وإستخلاصها من ايديهم ناهيك عن الهجمات التي كان يقوم بها البحارة السلويين ضد السفن في السواحل الاسبانية مما ألحق اضرار جسيمة بمصالح هذه الأخيرة ، ونجم عن ذلك بروز قضية أخرى كان لها دور

[1]– سهيل، المرجع السابق، ص 147.

[2]– نفسه، ص 175.

[3]– ابن زيدان، **الأتحاف**، ص 378.

كبير في تأجيج الصراع المحتدم بين المولى إسماعيل والسلطات الاسبانية ، حيث يذكر أن عدد الأسر الاسبان بلغ عام 1762 م 250 أسير في سلا وحدها[1].

2-علاقاته مع فرنسا و انجلترا.

2-1- علاقاته مع فرنسا

شكلت العلاقات الفرنسية المغربية في عهد المولى محمد بن عبد الله حلقة من تاريخ العلاقات المغربية مع العالم الخارجي عامة والأوروبية خاصة، وقد جاءت بعد قطيعة دامت قرابة نصف قرن(1718م ـ 1767م) حيث كانت فرنسا المستفيد الأول من سياسة الانفتاح التي تبناها السلطان محمد الثالث، وقد كان للهجوم الفرنسي على سلا عام 1764م ثم على العرائش في 1765م أثر في جعل هذا الأخير يجنح إلى اختيار السلم مع الطرف الفرنسي الذي كان يتفوق عسكريا على المغرب والذي لم يكن يتردد في استعمال القوة لتحقيق غاياته[2].

كما أكسب هذا الهجوم الذي انتهى بفشل فرنسا وانتصار القوات المغربية أوراق سياسية وذلك من خلال ما وقع تحت يديه من أسرى فرنسين تمكن بفضلهم من فتح باب التفاوض مع فرنسا، إذ تقرر إنهاء القطيعة وفتح عهد جديد من الاتصال المنتظم والمبادلات التجارية، فدخلت العلاقات المغربية الفرنسية في طورها السلمي والدبلوماسي الذي تجّلت معالمه في تبادل السفارات والبعثات وإبرام المعاهدات بين الطرفين[3].

وأدت المفاوضات المستمرة بين الطرفين إلى توقيع معاهدة صلح في 30 ماي 1767م بين السلطان محمد و"الكونت دوبروينو" الذي ترأس السفارة التي بعثها الملك لويس

---

[1]- عمر بن قايد، **علاقات المغرب الاقصى السياسية مع دول غرب أوروبا المتوسطية (فرنسا واسبانيا-1727)**)(**1659**مذكرة شهادة الماجستير ، تخصص تاريخ حديث، عمار بن خروف،معهد العلوم الانسانية والاجتماعية قسم التاريخ جامعة الجزائر 2010/2011م .ص ص 143-144.

[2] - ابراهيم بوطالب، "**لويس شينيه، ممثل فرنسا بالمغرب فيما بين سنة 1767م وسنة 1782م قنصلا ومؤرخا**"، مجلة المناهل، ع 36، س 14، وزارة الشؤون المغربية، رباط، 1987م، ص 158.

[3] - نفسه، ص 161.

الخامس عشر إلى المغرب في هذه السنة[1]، وتعتبر هذه المعاهدة بمثابة الإطار القانوني الذي خضعت له العلاقات الدبلوماسية المغربية الفرنسية خلال عهد هذا السلطان[2] وقد جاءت هذه المعاهدة مكملة المعاهدات السابقة التي عقدت بين جده المولى اسماعيل ولويس الرابع عشر، إذ منحت فرنسا امتيازات جديدة و أعطتها حق الأمة أكثر رعاية ومن أهم بنود هذه المعاهدة: إلزام المغرب بالتزام الحياد في حال نشوب النزاع بين فرنسا والإيالات العثمانية في شمال إفريقيا (تونس، الجزائر، طرابلس) ونصت على عدم إلزام التجار الفرنسين بدفع رسوم على إخراج البضائع من المغرب والتي كانوا قد جلبوها ولم يجدو لها مشتريا هناك[3]،كما أعفت هذه المعاهدة موضفي قناصل الفرنسين من تراجمة وسكرتارية من الضرائب وأكدت على عدم منعهم من القيام بأعمالهم [4].

وجاءت هذه المعاهدة كحل لكل من الجانب المغربي والفرنسي ذلك أن كل منهما كان يفكر في إجاد حليف يبرم معه معاهدة ويحقق بعض مكاسب من ورائه، فمن جهة سعى السلطان المغربي الإستفادة من التطور الصناعي الذي بلغته فرنسا ومن جهة أخرى سعى لويس الخامس عشر إلى عقد هذه المعاهدة للحصول على امتيازات جديدة في المغرب وكسبهه كحليف لفرنسا يساعدها في حروبها وذلك من خلا التزام الحياد وعدم التدخل[5]وعين إثر ذلك قنصل فرنسي في المغرب وهو القنصل "شينيه" الذي قام بدور كبير في تنشيط المباحث وأسندت إليه مهمة ارساء العلاقات بين البلدين[6].

وبعد وفاة الملك لويس الخامس عشر أرسل السلطان المغربي سفارة إلى فرنسا يترأسها "علي مارسيل" وذلك عام1774م تحمل رسالة[7] قدم السلطان من خلالها التعازي للملك

---

[1]– عبد العزيز السعود، المرجع السابق، ص147.

[2]– لطيفه الفيلالي ، المرجع السابق، ص 167.

[3]– محمد خير فارس، المرجع السابق، ص117.

[4]– ابن زيدان ،**الإتحاف**، ص317.

[5]– سهيل، المرجع السابق، ص229.

[6]–جادة، المرجع السابق، ص252.

[7]– ينظر الملحق رقم3.

الجديد لويس السادس عشر[1] ويهنئه على المنصب الجديد مجددا معه أواصر الصداقة والتعاون التي جمعت البلدين[2].

وبعد ذلك توالت عدة سفارات مغربية إلى فرنسا لأسباب وأهداف مختلفة ففي عام 1777م أرسل السلطان بعثة تحت رئاسة القائد " طاهر فنيش" لتسوية مشكلة الأسرى بينهما هذه المشكلة التي شكلت محور رئيسي في اهتمامات السلطان المغربي فبرغم من الانفتاح الذي ميز العلاقات المغربية الفرنسية وتنوع مضامين البعثات والسفارات الدبلوماسية المتبادلة بينهما، والتي كانت تهدف في مجملها إل تثبيت الصلح والسلم بين البلدين إلا أنّ قضية الأسر وكل ما يتعلق بالأمور البحرية ضلت تشكل إحدى أهم القضايا المتداولة بينهما[3].

وقد حملت هذه البعثة رسالة من السلطان تضمنت مقترحات عقد اتفاق مع الملك الفرنسي لويس السادس عشر، حول افتداء الأسرى بين الجانبين، كما تضمن فحوى الرسالة شكاية السلطان من القنصل الفرنسي في المغرب "شينيه" الذي كان يحاول زرع الدسائس ويث العداوة بين البلدين[4].

وقد حدث نوع من التوتر في أثناء ذلك حول قضيتين الأولى متعلقة بافتداء أسرى المسلمين الذين كانوا في سجون مالطا، وكان السلطان قد التمس من السلطات الفرنسية التدخل لدى حكام الجزيرة ليقبلوا فداء الأسرى بعد أن أطلق سراح جميع أسرى المسلمين لكن الفرنسين تماطلوا في ذلك، أما الثانية فكانت مشكلة تشريفية تعلقت بنوعية الألقاب التي استعملها السلطان المولى محمد بن عبد الله في مراسلاته إلى الملك الفرنسي، حيث استعمل هذا الأخير كلمات بشرية عادية كرئيس فرنسا مثلا وأبى الطرف الفرنسي إلا أن تستخدم

---

[1]– هو أحد ملوك فرنسا تولى الحكم بين 1774–1793م، في وقت كانت تعاني فرنسا ظروف إقتصادية سيئة، اندلعت في عهده الثورة الفرنسية.ينظر: شوقي الجمل، عبد الله الرزاق إبراهيم، **تاريخ أروبا من النهضة حتى الحرب الباردة**، د ط، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000م، ص85. –

[2]– التازي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقد العصور إلى اليوم عهد العلوين، المجلد9، ج1**، مطابع فضالة المحمدية،1988، ص90.

[3]– سهيل، مرجع سابق، ص231,

[4]– ابن زيدان، **العلائق السياسية**، ص ص 68. 69.

ألقاب الفخر الكبرى التي تدل عل مكانة وهيبة الملك الفرنسي كإمبراطور مثلا[1]، وانتهى هذا الجدال بتوقيع تسوية بين القائد «طاهر فنيش" وكاتب الدولة في البحرية الفرنسية في 18 فيفري 1778م، ترتب عنها التزام السلطان بتسمية ملك فرنسا" بعظيم النصارى وإمبراطور فرنسا" في المقابل ألزمت نفس التسوية الملك الفرنسي بمخاطبة السلطان المغربي بالمثل عظيم المسلمين وإمبراطور الغرب والمغرب[2].

وبذلك عالجت هذه البعثة عدة قضايا كادت أن تؤدي إلى توتر العلاقة بين الجانب المغربي والجانب الفرنسي، مثل مسألة التسمية وتوقير الملك الفرنسي، وكذلك محاولات القنصل "لويس شينيه" الهادفة لبث العداء، إلا أن متانة العمل الدبلوماسي وإثبات أسلوب التفاوض والتواصل هو الذي جعل العلاقتين تستمر بين البلدين، ولعل الرسالة التي أرسلها لويس السادس عشر إلى محمد بن عبد الله التي يبلغه فيها بازدياد مولود له أحسن دليل على استقرار العلاقات الطيبة بينهما[3].

هذا وقد أرسل محمد بن عبد الله بعثة أخرى إلى فرنسا عام 1781م على رأسها " علي برسيل" وقد حملت هذه البعثة خطاب إلى الملك الفرنسي، يتعلق بقنصله المقيم في المغرب "لويس شينيه الذي ازداد حدة التوتر بينه وبين السلطان بعد الشكاية التي رفعها ضده إلى "لويس السادس عشر"، وطلب منه قنصلا جديدا يسعى إلى ارساء دعائم التعاون ويعمل لتحقيق السلم والتفاهم بينهما[4]، غير أن القنصل المذكور عمل على إفشال هذه البعثة فأوعز إلى كاتب البحرية الفرنسية أن هذه ببعثة لا تحمل صفة رسمية، فرفضت البحرية الفرنسية استقبال السفير" علي بربس" الذي وصل إلى مرسيليا بناء على أوامر الملك الفرنسي، فاضطر هذا السفير للعودة إلى المغرب دون تحقيق آية نتائج إيجابية لصالح المغرب، وهذا ما دفع السلطان المغربي إلى إرسال رسالة إلى الملك لويس السادس عشر

[1]- ابراهيم بوطالب، المرجع السابق، ص168.

[2]- جمال سهيل، المرجع السابق، ص233.

[3]- نفسه، ص233.

[4]- إبن زيدان، **العلائق السياسية**، ص69.

حول " شينيه" يؤكد له أنه غير صالح لتولي هذا المنصب، ولا أن يكون واسطة بين الدول الأمر الذي أدي إلى نقل القنصل المذكور[1].

وهكذا فإنّ العلاقات الغربية الفرنسية خلال عهد محمد بن عبد الله، وإن عرفت نوع من التوتر خلال بعض الفترات، إلا أنه قد غلب عليها الطابع الودي المبني على التعاون السياسي والتجاري لتحقيق الأهداف المشتركة.

2-2- العلاقات مع انجلترا:

اتسمت العلاقات بين المولى محمد والإنجليز بالتوتر منذ أن كان خليفة على والده بالجنوب بمراكش، بسبب مساندة التجار الإنجليز لخصوم أبيه المولى عبد الله وتزويدهم لعمه المستضيء بمختلف الأسلحة على الرغم من التحذيرات التي كانوا يتلقوها، ومع ذلك لم يتوقف هؤلاء التجار عن دعم خصوم عبد الله مما دفع الخليفة محمد إلى طرد التجار البريطانيين من مرسى أكادير، كما أصدر الأوامر بحجز أي سفينة انجليزية تحل بالمرسي المغربية، وذلك أثر قيام الإنجليز بأسر سفينة في مرسى آسفي عام 1755م[2].

وقد جرت مباحثات بعد ذلك بين الإنجليز والمغرب للتفاهم أنهى الأمير على إثرها الحرب التي أعلنها ضد الإنجليز، ووقع معاهدة السلام والتجارة معها، ولكنها فشلت في تسوية وضعية الأسرى البريطانيين الذين كانوا تحت يديه كرد فعل للرفض الذي أبداه المبعوث البريطاني "هايد باركر" على الطلب الذي تقدم به الأمير، والمتمثل في الحصول على بعض المعدات لصناعة المراكب وتجهيزها وأكثر من ذلك هدد بإعلان الحرب مرة أخرى في حال استمر الإنجليز في تموين عمه الثائر[3].

وبعد تولي المولى محمد الحكم بقيت العلاقات الإنجليزية المغربية بين مد وجزر على الرغم من سعي الجانبين إلى التفاهم وعقد الصلح، ذلك أنّ السلطان المغربي كان في حاجة

---

[1]- التازي، **التاريخ الدبلوماسي**، المرجع السابق، ص 96

[2]- خالد بن الصغير، **المغرب وبريطانيا في القرن التاسع عشر(1856م- 1886م)**، سلسلة رسائل وأطروحات 34، ط2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، د ت، الرباط، ص 44.

[3]- رجورز، **تاريخ العلاقات المغربية الإنجليزية حتى عام 1900م**، تر و در و تع يونان لبيب رزق، ك1، دار الثقافة، دار البضاء، 1981م، ص .141

إلى إنجلترا لتزويده بالأسلحة والمعدات لصناعة السفن نهيك عن حاجته لإصلاح سفنه وصيانتها في جبل طارق بينما انجلترا في حاجة إلى المغرب لتموين سفن أسطولها في الموانئ المغربية، ولاسيما أنها كانت تمر بمرحلة حرجة إذ كانت طرفا في حرب السنوات السبع(1756م ـ 1763م) إضافة إلى مواجهتها لحرب الاستقلال الأمريكية التي شاركت فيها فرنسا واسبانيا ضدها[1].

وقد تجلت بوادر التوتر في العلاقات بمجرد اعتلاء محمد بن عبد الله العرش، بعد أن دمرت سفينة انجليزية إحدى السفن المغربية، كان قد جاء على متنها القنصل "ريد" الذي خول له صلاحيات فداء الأسرى الإنجليز ، وازاء ذلك قام السلطان المغربي باحتجاز القنصل المذكور والبعثة التي رافقته ورفض إطلاق سراحهم قبل تعويضه عن السفينة التي غرقت، غير أن حادثة انتحار القنصل "ريد" جعلت السلطان يعدل من إجراءاته تلك ويغير موقفه من بريطانيا إذ أطلق سراح مرافقيه ومدد معاهدة السلم إلى غاية 1759م[2]، كما واقف على تموين جبل طارق وأرسل سفير إلى إنجلترا لشرح ملابسات القضية خوفا من أعمال انتقامية، لكن هذه الأخيرة لم تبادر للقيام بأي فعل انتقامي بل سعت إلى إقامة علاقات ودية مع المغرب بسبب انشغالها بحروبها في أوروبا (حرب السنوات السبع) ورغباتها في تعزيز الجهد الحربي لإنجلترا، كما بذلت كل جهودها لإزالت كل العقبات لتحرير الأسرى البريطانيين وعقد سلام دائم مع المغرب[3].

ولتحقيق ذلك أرسلت بريطانيا بعثة على رأسها الكابتن "مارك ميلبانك" في 25 أكتوبر 1758م خولت له كامل الصلاحيات للتفاوض مع السلطان محمد بن عبد الله، وقد وصلت هذه البعثة إلى تطوان في 26 أكتوبر 1759م، ليبلغ السلطان بأنه مخول يدفع الفدية عن الأسرى كما أبلغه أن إطلاق هؤلاء الأسرى وترحيلهم شرط ضروري قبل البدء في أي مفاوضات بين الطرفين، فكان رد السلطان أن طالب " ميلبانك" بإمداده بالأسلحة والذخائر

[1]– محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 118.

[2]– روجرز، المصدر السابق، ص 242.

[3]– محمد خير فارس، المرجع السابق، ص118.

ولما كان هذا الأمر غير داخل في صلاحيات هذا السفير فقد قطع المفاوضات وعاد إلى جبل طارق، لتستأنف المفاوضات من جديد بعودة "ميلبانك" مرة أخرى نتيجة لمعاودة الاتصال في 4ماي 1760م وما إن بدأت المفاوضات حتى أطلق سراح غالبية الأسرى مقابل مبلغ قدره مائتي ألف ريال إسباني[1].

وقد تمكن الجانبين من عقد معاهدة سلم وتجارة في 28 جولية 1760م تضمنت مواد مختلفة من أهمها وضع حد لاحتجاز الأسرى بين البلدين، وضمان الأمن للسفن الإنجليزية عل الشواطئ المغربية ونفس الشيء ينطبق على السفن المغربية في الموانئ الإنجليزية، كما نصت هذه المعاهدة عل فتح باب التجارة بين المغرب وإنجلترا وبين المغرب وجبل طارق وقبل السلطان بموجب ذلك تموين جبل طارق من الموانئ المغربية[2].

كما التزم كل من الطرفيين بتنفيذ شروط هذه المعاهدة والاستمرار عل العمل بما جاء فيها حتى عندما حاصر الإسبان جبل طارق عام 1783م التزم المغرب بالحياد واستقر في تموينه برغم من استعمال اسبانيا لقاعدتها العسكرية بطنجة[3].

وبذلك ساهمت هذه المعاهدة في ارساء دعائم السلم والتعاون التجاري بين المغرب وانجلترا ومهدت لتبادل عدت بعثات سفارية بينهما في عهد الملك الإنجليزي " جورج الثالث"(1760م ـ 1820م).

ومن أهم البعثات التي أرسلها السلطان محمد الثالث إلى المغرب نذكر:

2-3- بعثة "الحاج عبد القادر عديل" 1762م

تمثلت مهمتها الأساسية في شراء الأسلحة والذخائر وغيرها من المعدات الحربية الازمة لبناء الأسطول وتجهيزه، وقد تزامن وصول " الحاج عبد القادر عديل" إلى إنجلترا مع وصول الأخبار هناك عن أسر مركبين انجليزيين من طرف المغاربة، الأمر الذي أدى إلى تعرض مقر السفير إلى هجوم من طرف بعض الأشخاص، ورغم ذلك فقد نجحت هذه البعثة

[1]- روجرز، المصدر السابق، ص142.

[2]- جادة، مقال سابق،ص242.

[3]- جادة، المقال السابق، ص248.

في تحقيق مسعاها اذ تمكنت من الحصول على الأسلحة والمعدات التي ذهبت من أجلها والتي تم إرسالها إلى المغرب[1].

2-4- بعثة "المستيري" 1766م

في هذه السنة أرسل السلطان" العربي المستري" حاكم سلا القديمة وقائد اسطوله إلى انجلترا في بعثة، وكان الهدف منها هو شراء سلع انجلتزية متنوعة للسلطان إضافة إلى إصلاح السفن المغربية التي سافروا على متنها، كما حملت هذه البعثة رسالة من المولى محمد إلى الملك الإنجليزي " جورج الثالث" يؤكد فيها علاقات الصداقة والتعاون التي تجمع البلدين ووضع الموانئ المغربية في خدمة الإنجليز[2].

غير أنه سرعان ما ساءت العلاقات السلمية بين البلدين إثر أزمة بحارة " لارك" في مارس 1771م، ويتعلق الأمر بغرق السفينة الإنجليزية والمعروفة بسفينة "لارك" قد أسر البحارة الناجون الذين كانوا على متنها من طرف بعض رجال القبائل الذين طلب القنصل" سامسون" بخصوص إطلاق سراحهم، إذ اشترط عليه تعويضات مقابل ذلك بحكم أنه اشتراهم عبر قائدة من القبائل الخارجة عن سلطته وهو ما اعتبره " سامسون" تجاوزا لمعاهدة السلم التي عقدت بين المغرب وإنجلترا من قبل، ليتأزم الوضع بين السلطان والقنصل المذكور عل نحو يهدد السلم القائم بين الجانبين ، لولا أنه تم تدارك الوضع باستبدال هذا القنصل بقنصل أخر عن "شارلر لوزجي"[3].

2-5- بعثة "يعقوب بن يدر" 1772م

هو يهودي مغربي أرسله السلطان كمبعوث خاص إلى انجلترا عام 1772م ليعلم الملك الإنجليزي " جورج الثالث" بالعرض الذي قدمته الذي إسبانيا للسلطان والذي يتمحور حول إيقاف المعاملات التجارية مع إنجلترا والتوقف عن تموين جبل طارق مقابل عرض مالي قدره 2000 ألف ريال، وطلب منه تزويده بالمدافع مقابل ذلك وأمام تردد جورج الثالث

[1]- روجرز، المصدر السابق، ص147 .

[2]- روجرز، نفسه ، ص150.

[3]- السعود، المرجع السابق، ص155.

وافق محمد بن عبد الله على وضع ميناء العرائش وطنجة بتصرف اسبانيا، وترتب عن هذا الاتفاق المغربي الإسباني طرد القنصل العام من تطوان وعدد من الرعايا البريطانيين من طنجة[1] مأدى حدوث قطيعة بين المغرب وانجلترا في هذه الفترة.

وبعد انقطاع مدة الاتفاق المغربي الإسباني عام 1781م أعاد السلطان فتح طنجة والعرائش أمام السفن الأوروبية بما فيها السفن الإنجليزية[2]، لتعود العلاقات الودية بينهما من جديد عام 1783م إثر سفارة "سير روجر كبريس" القائد العام للقوات البحرية التي أسندت إليه مهمة التفاوض مع العاهل المغربي لإعادة العمل باتفاقية السلام والتجارة التي قد عقدها الكابتن "ميلبانك" عام 1760م.

وهكذا تم توقيع اتفاقية للسلام والتجارة في 24 ماي 1783م منحت امتيازات جديدة لإنجلترا إذ أعطت التجار الإنجليز الحق في التعامل مع المغرب واسترجاع ديونها التي تركوها سابقا ومنحت المادة السادسة البريطانية الحق في الحصول على الإمدادات من كل الموانئ المغربية وإعفائها من الرسوم لمدة عام تبدأ من 1783م على أن يتفق بعد ذلك على قيمة هذا الرسوم، كما وعد السلطان بمقتضى المادة الخامسة بناء دار للوكيل البريطاني في مارتيل ميناء تطوان[3].

غير أن العلاقات الإنجليزية المغربية عرفت العديد من التوترات إثر ذلك نتيجة تماطل السلطات جبل طارق في إصلاح السفن الحربية المغربية ليبلغ هذا التوتر ذروته عام 1787م بعد أن رفض البريطانيون تزويد السلطان بطاقم يتولى قيادة سفينتين حربيتين و إيصالها إلى اسطنبول كهدية للسلطان العثماني، فوجه إثر ذلك خطابا شديد اللهجة عام 1788م يهدد فيه قناصل الدول الأوروبية بإعلان الحرب على كل من يقدم مساعدة لجبل

[1]– روجرز، المصدر السابق، ص160.

[2]. محمد خير فارس، المرجع السابق، ص120.

[3]. روجرز، المصدر السابق، ص161.

طارق، وبذلك ساءت العلاقات بين المغرب وانجلترا وعرفت نوع من الجمود استمر لأكثر من سنتين وإلى ما بعد وفاة السلطان[1].

3-3- العلاقة مع السويد والدانمارك

3-1- العلاقة مع السويد

في إطار سياسة الباب المفتوح التي تبناها المولى محمد بن عبد الله وسعيه إلى إقامة علاقات سلمية مع الغرب لا سيما فيما يتعلق بالملاحة والتجارة حاولت مملكة السويد الاستفادة من هذه السياسة إقامة علاقات صداقة مع المغرب الأقصى.

وكانت أولى الاتصالات بين المغرب والسويد بمبادرة من الملك السويدي "أدولف فردريك" الذي سعى إلى إقامة علاقات ودية مع العامل المغربي وتحرير الأسرى السويديين الذين ازداد عددهم في المغرب.

وبناء على ذألك أرسل البرلمان السويدي مبعوثا إلى الموانئ المغربية في عام 1763م لربط علاقات سلمية معها تقوم على التعاون في مجال التجارة والملاحة، وقد وصل المبعوث إلى المغرب في مارس 1763م أين جرت مفاوضات بينه وبين نائب السلطان في طنجة القائد عبد الصادق بن أحمد الريفي انتهت بعقد اتفاقية بين السلطان محمد الثالث والملك السويدي " أدولف فردريك" في 16 ماي 1763م احتوت على 23 فصلا[2] تناولت قضايا مختلفة من أهمها: ما جاء في البند الّأول والثاني من المعاهدة هو حرية التنقل وحرية التجارة بين البلدين وتوفير الأمن للرعايا والتجار السويديين وسفنهم وأموالهم في المغرب[3] والبند الخامس جاء فيه أن لا يلزم السويديون بدفع الرسوم عل السلع التي أدخلوها إلى المغرب ولا على السلع من العتاد الحربي، والبند الخامس عشر نص على أن يعطى للسويد المكانة التي يتمتع بها قناصل البلدان الأخرى، كما أعطت للرعايا السويديين حرية ممارسة

---

[1]. حركات، المرجع السابق، ص114.

[2]- مليكة زهيدي، "**تاريخ المغرب ومملكة السويد في زمن السلطان ومحمد بن عبد الله**"، مجلة هسبيرس،2015م، ص 40.

[3]- جادة، المقال السابق، ص 249.

شعائرهم الدينية، دون التعرض لهم بأي أذى كما ترفع عنهم جميع الضرائب ما عادا الجزية والبند الواحد والعشرين نص على أن تتولى السلطة القنصلية محاكمة الجناة من رعاياهم في ظرف ستة أشهر فإن تجاوزت هذه المدة دون الفصل في أمرهم تتم محاكمتهم من طرف السلطان المغربي[1].

وقد تضمنت هذه المعاهدة بندا سريا لم يتم اظهاره في النص الرسمي يلزم السويد بتزويد المغرب سنويا ومجانا بكمية من المعدات الحربية لصناعة السفن، غير أنه عدم جودة المعدات التي كانوا يرسلونها دفعت السلطان إلى عقد اتفاق أخر يقضي بأن تؤدى الإتاوة نقدا وبمبلغ مالي قدره 25000ليرة[2].

وتوضح هذه الشروط مدى أهمية الصلح ولاسيما بالنسبة للسويد التي أمنت عل رعاياها في المغرب ومنحهم حق ممارسة شعائرهم الدينية، كما منح لمملكة السويد امتيازات تجارية هامة بما فيها سلامة الملاحة والتجارة البحرية على طول السواحل المغربية التي كانت تحظى بمكانة استراتيجية هامة.

كما استفاد المغرب من هذه الاتفاقية من خلال إعمار بيت المال الأعشار التي كان يفرضها على السلع سواء السلع السويدية أو سلع الدول الأوروبية الأخرى[3] فضلا على حصوله على المعدات الضرورية لبناء السفن والتي تمكن بفضلها أن يستكمل استعداده لمحاصرة مليلة[4].

وقد كان لهذه الاتفاقية دور كبير في إرساء السلم والتعاون بين المغرب والسويد، وذلك أنه ومنذ هذا التاريخ بدأ توافد القناصل السويديين على المغرب واقامتهم بالمدن المغربية مثل تطوان والرباط والصويرة[5].

---

[1]– ابن زيدان، **الإتحاف**، ص ص 325. 326.

[2]– جادة، المقال السابق، ص ص 249. 259.

[3]– الزهيدي، المقال السابق، ص40.

[4]– جادة، المقال السابق، ص250.

[5]– التازي، **التاريخ الدبلوماسي**، ص259.

وتأكيد عل استمرار علاقات الصداقة بينهما أرسال السلطان محمد بعثة محملة بالهدايا إلى السويد عام 1771م، للقيام بواجب التهنئة للملك الجديد "كوستاف الثالث" الذي اعتلى العرش في هذه السنة ، فرد عليه بإرسال بعثة سويدية إلى المغرب على رأسها "أبرهام فون سطاندن" محملة بالهدايا والمعدات البحرية والتي استقبلت بشكل رسمي من السلطان المغربي[1] والتي استجاب خلالها لطلبات السفير السويدي والتي من ضمنها منح السويد نفس التقدير ولامتياز الذي تمنحه لكل من انجلترا وفرنسا واسبانيا، ولاسيما اعفاءها من المبالغ المالية التي كانت تدونها سنويا للمغرب منذ عام 1763م، مما يدل على حرص السلطان للمحافظة على العلاقات الودية التي تربطه مع مملكة السويد[2].

وقد استمرت العلاقات الطيبة بين المغرب والسويد في عهد السلطان محمد والتي تجلت أهم مظاهرها في توافد السفارات والبعثات المتبادلة بين البلدين ، و عقد اتفاقية جديدة بينهما عام 1777م تمحور مضمونها حول قضية الأسرى بين البلدين وعدم التعرض للسفن التي تحمل الحبوب والمواد الغذائية[3].

3-2-العلاقات مع الدنمارك

كان السلطان محمد طرفا مهما في ربط العلاقات بين المغرب والدنمارك منذ أواخر عهد والده المولى عبد الله ابن اسماعيل، حيث عقد بصفته خليفة على والده ثلاث اتفاقيات مع الدنمارك في مراكش التي ارتكز مضمونها حول منح امتيازات تجارية لهذه الأخيرة في الموانئ المغربية على غرار آسفي وأكادير والرباط وسلا[4].

وقد تواصلت العلاقات الودّية بينهما باعتلائه الحكم، حيث امتد نشاط الدنمارك بعد 1757م ببقية المراسي المغربية، وكلل هذا التقارب بعقد اتفاقية للصداقة والتجارة في 29جويلة 1767م بعد مفاوضات تمت بين القنصل الدنمارك "كوبنهاك السيد جانس" وممثل

[1]- نفسه، ص259.

[2]- الزهيدي، المقال السابق، ص41.

[3]-جادة، المقال السابق، ص250.

[4]- نفسه، ص252.

السلطان وابن عمه الأمير "ادريس"[1] وقد تضمنت هذه الاتفاقية واحد عشرين بندا لم تخرج في إطارها العام عن شروط المعاهدات السابقة التي عقدها مع دول الأوروبية الأخرى، حيث أخرج الشرط الأول منها المراسي المغربية من أيدي الدنمارك " فلا يتصرفون فيها بشيء من أنواع التصرفات" و جاء في الشرط الثاني أنه على القنصو أن يحمل جميع سلع الكبانية[2]المتبقية لهم بالمغرب[3].

أما الفصل العاشر: فنص على أنه إذا دخلت سلعة إلى الموانئ المغربية ودفعت رسومها ثم لم تلق رواجا في المغرب فأراد صاحبها إخراجها، فإنه لا يلزم بدفع رسوم هذه السلعة مرة أخرى، وبمقتضى الشرط الرابع عشر من هذه المعاهدة يتولى السلطان المغربي الفصل في النزاعات التي قد تحدث بين مسلم ودنماركي أو يتولى ذلك حاكم المنطقة التي تمت فيه الخصوصة بحضور "القونصو، وبموجب الشرط الخامس عشر يكون للقنصل الحق في الاقامة في سلا وتعين نائب له في المراسي المغربية، ويمنح لهم وموظفيهم نفس الاحترام الذي يمنح للقنصل، كما يعفون من الضرائب المخزنية وبتولي القنصل الفصل في النزاعات التي تنشأ بين رعاياهم الدنماركيين دون تدخل أي أطراف أخرى[4].

كما جاء في هذه الاتفاقية أنه على الدنمارك أن تؤدي جزية سنوية للمغرب من مواد أو عتاد حربي إضافة إلى دفع 2500ريال أو يتم دفع جميع هذه المواد نقدا بمبلغ قدره 25000 ريال حسب الشرط العشرون، وقد فتحت هذه الاتفاقية أبواب المغرب أمام التجار الدنماركيين وذلك من خلال ما نصت عليه الشروط الخامس والرابع عشر والخامس عشر[5] ويلاحظ من خلال هذه الاتفاقية مدى التفاهم والتقارب الذي طبع العلاقات بين المغرب والدنمارك في عهد المولى محمد والذي ارتكزت أساسا على التعاون في مجال التجارة لتحقيق المصالح المشتركة بين البلدين.

---

[1]– التازي، **التاريخ الدبلوماسي**، ص249.

[2]– كلمة إسبانية تعني الشركة. ينظر: السعود، المرجع السابق، ص306.

[3]– ابن زيدان، **الأتحاف**، ص232.

[4]– ابن زيدان، **الأتحاف**، ، ص 232. 233.

[5]– جادة، المقال السابق، ص 261.

ومع ذلك فإن السلطان المغربي لم يتردد في إبداء تحفظه من الموقف الذي تبنته الدنمارك بالوقوف إلى جانب روسيا في حروبها ضد السويد عام 1788م وازاء ذلك أرسل رسالة إلى الملك الدنمارك يعاتبه على هذا الموقف، وفي نفس الوقت طلب من مبعوثه "أبي القاسم الزياني" الذي حمل الرسالة أن يصرح بالاحترام الذي يكنه السلطان له[1].

وبذلك عمل السلطان على كسب ود كل من السويد والدنمارك والحفاظ على العلاقات السلمية مع كل منهما.

4- علاقاته مع الولايات المتحدة الأمريكية:

شهد أواخر عهد محمد بن عبد الله أول اتصال بين المغرب وجمهورية الولايات المتحدة الأمريكية، ويعتبر ذلك أول اتصال بين دولة عربية اسلامية وهذه الأخيرة[2]، فبعد استقلال الولايات المتحدة الأمريكية عن بريطانيا عام 1776م، كان على السلطات الأمركية الأمريكية ضمان أمن وسلامة أسطولها في المياه الأوروبية التي لم تكن في منأى عن جهد البحارة المغاربة، وكثيرا ما كانت تتدخل الدول الأوروبية ولا سيما فرنسا وهولاندا واسبانيا كما حدث مشكل البحرية الأمريكية مع القراصنة المغاربة[3]، فقد نصت معاهدة بين فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية في 1778م على أن تسعى لدى العاهل المغربي لتوثيق العلاقات وذلك عن طريق إجراء مفاوضات لعقد اتفاق بينما وبين المغرب بتوسط الطرف الفرنسي[4]، وانعقدت أول معاهدة سلم وتجارة بين البلدين بمراكش في 23 جويلية 1786م وتعتبر هذه المعاهدة من أبرز الاتفاقيات في القرن الثامن عشر على عهد الدولة العلوية[5] حيث استبدلت الجزية التي كانت تخشاها الولايات المتحدة الأمريكية وتمتنع عن الرضوخ لدفعها بهدايا قيمة قدرة بـ 10 ألاف دولار.

---

[1]- التازي، **التاريخ الدبلوماسي**، ص 252.

[2]- العقاد، المرجع السابق، ص69.

[3]-جادة، المقال السابق، ص160.

[4]- حركات، مرجع سابق، ص117.

[5]-جادة، المقال السابق، ص161.

وكانت بنودها مماثلة لتلك المعاهدات الأخرى التي عقدتها المغرب مع مختلف الدول الأوروبية تنص على تموين السفن الأمريكية وتزويدها بالمستلزمات الضرورية من موانئ المغرب والعكس، إلى جانب حماية السفن ورعايا الطرفين، وتولي القنصليات الأمريكية محاكمة رعايا الأمريكيين في النزاعات الخاصة بينهم، والبت في النزاعات التي قد تنشأ بين المغاربة والأمريكيين من طرف السلطات المغربية بحضور قنصل أمريكي، وكل البنود تنص مبدئيا على تعامل الطرفين بالمثل ولم تلزم هذه المعاهدة التي حدد أجلها بخمسين سنة الولايات المتحدة الأمريكية بدفع الجزية وهي بذلك أول معاهدة افريقية عربية مع دولة مسيحة تنص على ذلك[1].

وفي عام 1781م قام الكونغرس الأمريكي برفع طلب رسمي إلى السلطان محمد الثالث التمس من خلاله الرئيس الأمريكي " جورج واشنطن" من هذا الأخير التوسط لدى باي تونس وباشا طرابلس ليكف عن مهاجمة السفن الأمريكي[2]، ومع أن السلطان لم ينجح في وساطته لأن الإيالتين اشترطتا على الولايات المتحدة الأمريكية دفع الإتاوة وهو ما لم تقبل به الحكومة الفيدرالية فقد بعث "جورج واشنطن" بعد توليه الرئاسة رسالة شكر إلى السلطان محمد في1789 نوه فيها بالصداقة التي جمعت البلدين منذ قيام الجمهورية، ويعتبر السلطان محمد أول من اعترف بجمهورية الولايات المتحدة الأمريكية، وقد ضلت العلاقات الطيبة قائمة بين البلدين في عهده و عهد خلفائه من بعد[3].

المبحث الثاني: علاقاته مع العالم الإسلامي.

عرف عهد السلطان محمد بن عبد الله جسرا ممتدا عبر البحر المتوسط يربط البلاط المغربي بالعالم الإسلامي، فمثل ما انتهج سياسة خاصة مع الدول الأوروبية فواصل منهاجه في تعامله مع العالم الإسلامي.

[1]– حركات، المرجع السابق، ص 117.

[2]– التازي، **التاريخ الدبلوماسي**، ص 69.

[3]– العقاد، المرجع السابق، ص69.

1ـ الدولة العثمانية.

انتهج المولى محمد بن عبد الله اتجاه الدولة العثمانية علاقة تضمن توثيق الروابط وتوطيد العلاقات بينهم، وتجسد ذلك من خلال الهدايا والرسائل المتبادلة بين الطرفين، فقد دشن السلطان محمد علاقاته بالسلطان "مصطفى الثالث"[1] بإرسال بعثة عام 1762م، ترأسها شخصان هما: "الطاهر بناني الرباطي" مفتي الديار المغاربية، وأمير الركب "الحاج عبد الله الخياط الفاسي"، عبرا السفيران للسلطان العثماني عن عواطف الودّ التي يكنها المول محمد بن عبد الله له، وقدموا له رسالة تهنئة ومجموعة من الهدايا[2] التي كانت عبارة عن مجموعة من الخيول المغربية مع سروجها الذهبية والمرصعة بالأحجار الكريمة، فبادر السلطان العثماني هو الأخر بإرسل هدايا للسلطان محمد والتي كانت عبارة عن مركب بحري موسوق بآلات الحرب من مدافع ومهاريس وبارود ولوازم بحرية[3].

ولتعزيز العلاقات وتمتين روابط الإخاء مع الباب العالي أرسل السلطان محمد سفارة ثانية عام 1765م بقيادة "طاهر بناني" ، حملت معهما هدايا قيمة للسلطان "مصطفى الثالث" و التي كان فيها سيوف مرصعة بالياقوت وبنود منسوجة بالذهب وخيول، تركت انطباع كبير في نفسية السلطان العثماني الذي بادر هو الأخر بإرسال هدية للسلطان محمد تمثلت في مجموعة من الأسلحة الحربية والوازم البحرية تأكيدا منه على تواصل العلاقات الودية مع السلطان المغربي واستمرارها[4].

كما تتالت بعد ذلك العديد من السفارات بين السلطان محمد بن عبد الله و السلطان مصطفى الثالث و التي تنوعت مضامينها وأهدافها، ففي عام 1767م أبدى السلطان المغربي تعاطفه

---

[1]–هو أحد سلاطين الدولة العثمانية حكم مابين 1757–1772م، كان له دراية واسعة لإدارة الدولة استطاع بواسطتها توطيد دعائم حكمه. ينظر: إسماعيلر أحمد ياغي، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث**، ط 2، مكتبة العابيكان، 1992م، ص121.

[2]– التازي، **التاريخ الدبلوماسي**، ص25.

[3]– محمد الأمين محمد، المرجع السابق، ص222.

[4]– التازي، **التاريخ الدبلوماسي**، ص 109.

وتضامنه مع الدولة العثمانية من جراء الكارثة الي منيّ بها الأسطول العثماني في حربه مع روسيا، فأرسل سفارة برئاسة عبد الكريم التطواني يقدم من خلالها تعازيه للسلطان العثماني[1].

وقد تواصلت العلاقات المغربية العثمانية بعد وفاة السلطان مصطفى الثالث حيث حرص محمد بن عبد الله على تكوين علاقة متينة مبنية على الود والسلام مع السلطان عبد الحميد الأول[2]، الذي تولى الحكم عام 1774م[3] فبعث له السلطان محمد وفد مغربي لتهنئته بالمنصب الجديد، تبادل الطرفان بعدها العديد من المراسلات والهدايا وكذا السفارات التي وطدت العلاقات بين الطرفين، منها سفارة بقيادة "ابن عثمان" وسفارة "أبو القاسم أحمد الزياني" سنة 1786م، وحملت معها هدايا متنوعة إلى السلطان العثماني مع رسالة التي كان مضمونها إنقاذ الأسرى العثمانيين الموجودين في مالطة[4].

قام السلطان محمد ببذل كل مجهوداته في تحرير أسرى المسلمين وعلى رأسهم الأسرى العثمانيون، فكان له العديد من الاتصالات مع الدولة العثمانية حول هذه القضية فأرسل عام 1783م سفيرا إلى اسطنبول يحمل رسالة تضمنت موضوع خاص بتحرير الأسرى المسلمين الموجودين في مالطة، حيث قام بالمحاولة الأولى حينما أرسل رجالا إلى مالطة وأرسل معهم مبلغ 270358 ريال أسير، لكن مالطة رفضت تحريرهم مدعية أنّ هؤلاء من رعايا الدولة العثمانية ولها القدرة على الدفع أكثر وتحرير أسراها، ورغم هذا أراد السلطان محمد تحريرهم بحكم الدين الإسلامي الذي يجمعهم، فقام بتقديم هذه الأموال إلى الدولة العثمانية من أجل دفعها وإطلاق سراح هؤلاء الأسرى[5]، فهناك وثيقة تبرز أن مجهود المولى

---

[1]- حركات، المرجع السابق، ص 109

هوأحد سلاطين الدولة العثمانية تولى الحكم 1772م بعد أخيه مصطفى الثالث، في عهده استطاعت روسيا أن تحقق عدة انتصارت على الدولة العثمانية وتسيطر على بعض الأراضي التابعة لها. ينظر: أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 124-.

[2]- محمد علي داهش، "**العلاقات المغربية العثمانية في العصر الحديث (1610م . 1830م)**"، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية ، ع 18، ص، 169.

[3]- عزيز سامح إلتر، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر محمود علي عامر**، ط1، دار النهضة العربية، لبنان، 1980م، ص 501.

[4]- إلتر، المصدر السابق، ص 502.

محمد لم يذهب سودا و تم تحرير الأسرى الذين بلغ عددهم 536 وبعثهم إلى الباب العالي[1].

كما اتخذ السلطان محمد سياسة تضامنية إزاء المشاكل التي كانت تواجها الدولة العثمانية موقفا عمليا، من خلال تضامنه رسميا مع العثمانيين ضد روسيا حيث تمكن السلطان من تقديم المساندة للدولة العثمانية[2] من حيث الدعم المالي، فحين طلبت الدولة العثمانية من المغرب استقراضها وذلك حتى تتمكن من إعداد العدة لخوض الحرب ضد روسيا، فقد استجاب المولى محمد لطلبها وقدم لها ما تحتاج من مال، كما قام بدعمها عسكريا، ففي سنة 1787م وصلت إلى الدولة العثمانية حوالي 1000 قنطار من النحاس وبعث ثمانية سفن من ملح البارود وسفينتين من البارود الأسود[3].

2-علاقاته مع الإيالات العثمانية في شمال إفريقيا:

عمل السلطان محمد في إطار سياسته الخارجية التي تعتمد على الود والتسامح والتعاون والتقرب من الأتراك العثمانيين في كل من طرابلس وتونس والجزائر على كسب ثقتهم وودهم، لأنه كان يعتبر أن علاقته بهم هي استمرار العلاقة الطيبة مع العثمانيين وتأكيد للروابط القديمة التي تربط المغرب ببلدان المغرب العربي وأهمها الروابط الدينية.

إن الأتراك المتواجدين في كل من تونس وطرابلس والجزائر كانت تراودهم فكرة ضم المغرب الأقصى للدولة العثمانية وبسط نفوذهم على المنطقة، وخاصة أتراك الجزائر حتى أنهم تدخلوا في السياسة الداخلية في عهد المولى محمد عندما استقبلوا ابنه يزيد عندما ثار على والده وتوجه إلى مكة، ورغم كل هذا فإن السلطان اتخذ سياسة مسالمة اتجاه أتراك الجزائر لضمان استمرار علاقاته بالدولة العثمانية الذين كانوا يشكلون قوة عسكرية في البحر

---

[1]-عبد الله محمد عزباوى، "**العلاقات المغربية في عهد كل من مولاي محمد(1707م . 1790م) وابنه اليزيد(1790م-1792م)**"، ص 385.

[2]- حركات، المرجع السابق، ص 107.

[3]- عبد الرحيم بن جادة، "**فترة السلطان سيدي محمد بن عبد الله في أرشيف الوزراء بإسطنبول**"، أعمال الدورة الثالثة جامعة مولاي علي الشريف، ص 502.

الأبيض المتوسط[1]، وحتى يباعد كل الخطر على المغرب الأقصى من طرف أتراك الجزائر لكنه كان يتدخل أحيانا لردعهم بسبب مواقفهم المتعنتة اتجاه المغرب فكان يتخذ كل الإجراءات اللازمة للحد من ظلمهم للجزائريين، فقام السلطان محمد بإرسال رسالة إلى السلطان العثماني" عبد الحميد الأول" يوضح له من خلالها حالة الجزائريين وما وصلوا إليه من معاملة حكام الجزائر لهم[2]، وهذا ما أكده التقرير الذي بعثه السفير "إسماعيل" إلى سلطانه "عبد الحميد الأول" عند إقامته في المغرب الذي ذكر فيه أنه وصل وفد من الجزائر يشكون ما انتابهم من ظلم حكام الجزائر، وأنهم يبعثون للسلطان المغربي ويطلبون حمايته [3].

أما عن علاقة المغرب الأقصى بتونس كانت تطبعها المودة والتواصل فقد عبر "الزياني" في إحدى سفارته إلى إسطنبول في عهد المولى محمد عن الارتياح الذي شعر به أثناء إقامته بتونس بسبب تعطل مركبه، حيث لجأ إلى احدى الموانئ التونسية فاستقبله "محمود باشا التونسي" وأمده بكل المساعدات الازمة لسفره وأحسن إكرامه وهذا دليل على حسن العلاقة بيت تونس والمغرب الأقصى[4].

كذلك تميزت علاقة محمد بن عبد الله مع أتراك ليبيا بالتعاون والمودة فقد قام السلطان محمد بزيارة إلى ليبيا وعمره تسع سنوات مع جدته خناثة بنت بكار وهم في طريقهم إلى البقاع المقدسة، التي تركت انطباعات حسنة في نفسيته فاكتسب رغبة ربط صلات المودة معهم، كما أرسل لهم المساعدات والهدايا الثمينة خاصة لحكام ليبيا الذين كان يبعث لهم كل سنة هدية وهذا ما جعلهم يلبون مطالبه ويمدونه بالمساعدة في وقت الحاجة[5].

---

[1]– زهراء النظام، "**علاقة السلطان سيدي محمد بن عبيد الله بالإيالات العثمانية في شمال إفريقيا (طرابلس تونس . الجزائر)**"، أعمال الدورة الثالثة مولاي الشريف، ص237.

[2]– إلتر، المصدر السابق، ص503.

[3]– النظام، المقال السابق، ص236.

[4]– الزياني، **الترجمانة**، ص96.

[5]– النظام، المقال السابق، ص240.

و كان للسلطان محمد علاقات طيبة مع بقية أقطار العالم الإسلامي حيث ربط علاقات متينة مع كل مكة واليمن ومصر والحجاز، وكلها تميزت بطابع سلمي تعاوني[1] وهذا راجع إلى النزعة الدينية التي توحد الدول الإسلامية.

الخلاصة

انطلاقا مما سبق يمكن القول أن سياسة المغرب الأقصى في ظل حكم السلطان محمد بن عبد الله قد تميزت بربط علاقات سلمية مع الدول في إطار سياسة الانفتاح على العالم الخارجي، فسعى إلى توطيد وتوثيق علاقته مع أقطار العالم الإسلامي تحت رابطة الدين والأخوة، وإقامة علاقات مع الدول الأوروبية وثقها بعقد العديد من المعاهدات التجارية والسياسية للتخفيف من الضغوط التي كانت تفرضها على المغرب والحد من غارتها البحرية على سواحله، والاستفادة من تقدما وخبرتها في مختلف الميادين ولا سيما في مجال المبادلات التجارية.

[1]– حركات، المرجع السابق، ص ص 108. 109.

خـاتـمـة

بعد دراستنا لموضوع السياسة الداخلية والخارجية للسلطان محمد بن عبد الله في المغرب الأقصى 1757-1790م توصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها:

1-إن المولى محمد تمكن من إعادة الاستقرار للمغرب الأقصى وتوطيد ركائز الدولة وإخراجها من الإضطرابات السياسية والأزمة الإقتصادية والإجتماعية التي عانت منها طيلة الثلاثين سنة .

2- إنّ نشوء المولى محمد بن عبد الله نشأة علمية بجوار جدته الفقيهة العالمة واحتكاكه بنخبة من علماء عصره، وكذا اطلاعه على مختلف فروع العلوم، كان له دور فعال في تكوين شخصيته القوية، واكتسابه قدرة على التبصر في شؤون الدولة وضبطها.

3- دخول السلطان محمد معترك الحياة السياسية من خلال خلافته على والده في مراكش، مكنته من اكتساب خبرة سياسية وقدرة على التعامل في المجال الاقتصاد والإداري، ويظهر ذلك من خلال ما قام به من إنجازات وقضائه على التمردات والاضطرابات في هذه في هذه المنطقة. مما أهله للإمساك بزمام الأمور بعد توليه الحكم وإعادة البلاد وتوفير أسباب الاستقرار.

4-إنّ الظروف الداخلية التي كان يعيشها المغرب عشية اعتلاء السلطان محمد بن عبد الله الحكم وما يهددها من أخطار خارجية، جسدتها الهجمات الدول الأوروبية على السواحل المغربية وخضوع بعض الثغور والاحتلال الأجنبي الإسباني والبرتغالي حتمت على المولى محمد بن عبد الله القيام بحركة إصلاحية واسعة، مست جميع الجوانب السياسية والاقتصادية والتعليمية والدينية والعسكرية للخروج من الأزمة الداخلية ومواجهة التحديات الخارجية.

5-استطاع المولى محمد من الناحية العسكرية تكوين جيش قوي، اعتنى تنظيم وتأطير جميع فئاته ونجح في استتباب الأمن، عن طرق الحملات التي كان يقوم بها يقوم بها عبر مدن المغرب وقراه لقمع الحركات المناوئة للسلطة المركزية، كما قام تحصين الثغور وتحرير البريجة من الاستعمار البرتغالي، وتمكن من انشاء اسطول لصد هجوم الأعداء.

6-شهد الاقتصاد المغربي في عهد محمد بن عبد الله ازدهار ملحوظ ومثلت التجار المحور الرئيسي له حيث نشطت حركة المبادلات التجارية التي كانت تدر أموالا طائلة على خزينة.

7-انتهاج المولى محمد سياسة خاصة في علاقاته الخارجية وهي سياسة الباب المفتوح،إذ ربط علاقات سلمية مع الدول الأوروبية بغرض التخلص من الضغوطات التي تفرضها على المغرب من جهة والإستفادة من التقدم الصناعي والتجاري لهذه الدول لتطوير البلاد من جهة أخرى.

8-إنّ السلطان محمد أقام علاقات وثيقة مع الدول الإسلامية إذ وطد علاقاته مع الدولة العثمانية التي كانت تمثل العالم الإسلامي أنذاك كما كانت له اتصالات مع إيالات الدولة العثمانية في شمال إفريقيا وبقية الإيالات الأخرى في إطار التضامن الإسلامي.

الملاحق

الملحق رقم 01 [309]

صورة السلطان محمد بن عبد الله بن إسماعيل العلوي

[309] -عبد الهادي التازي، العلاقات السياسية، المرجع السابق، ص57.

الملحق رقم 02 [310]

رسالة من السلطان محمد الثالث إلى ملك إسبانيا بتاريخ 14 أبريل 1765م

[310] -عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي، المرجع السابق، ص 118.

الملحق رقم03 [311]

كتاب من السلطان محمد بن عبد الله إلى لويس 16 ملك فرنسا جوابا على رسالة أخبره فيها بموت جده لويس 15 تاريخها 1774م

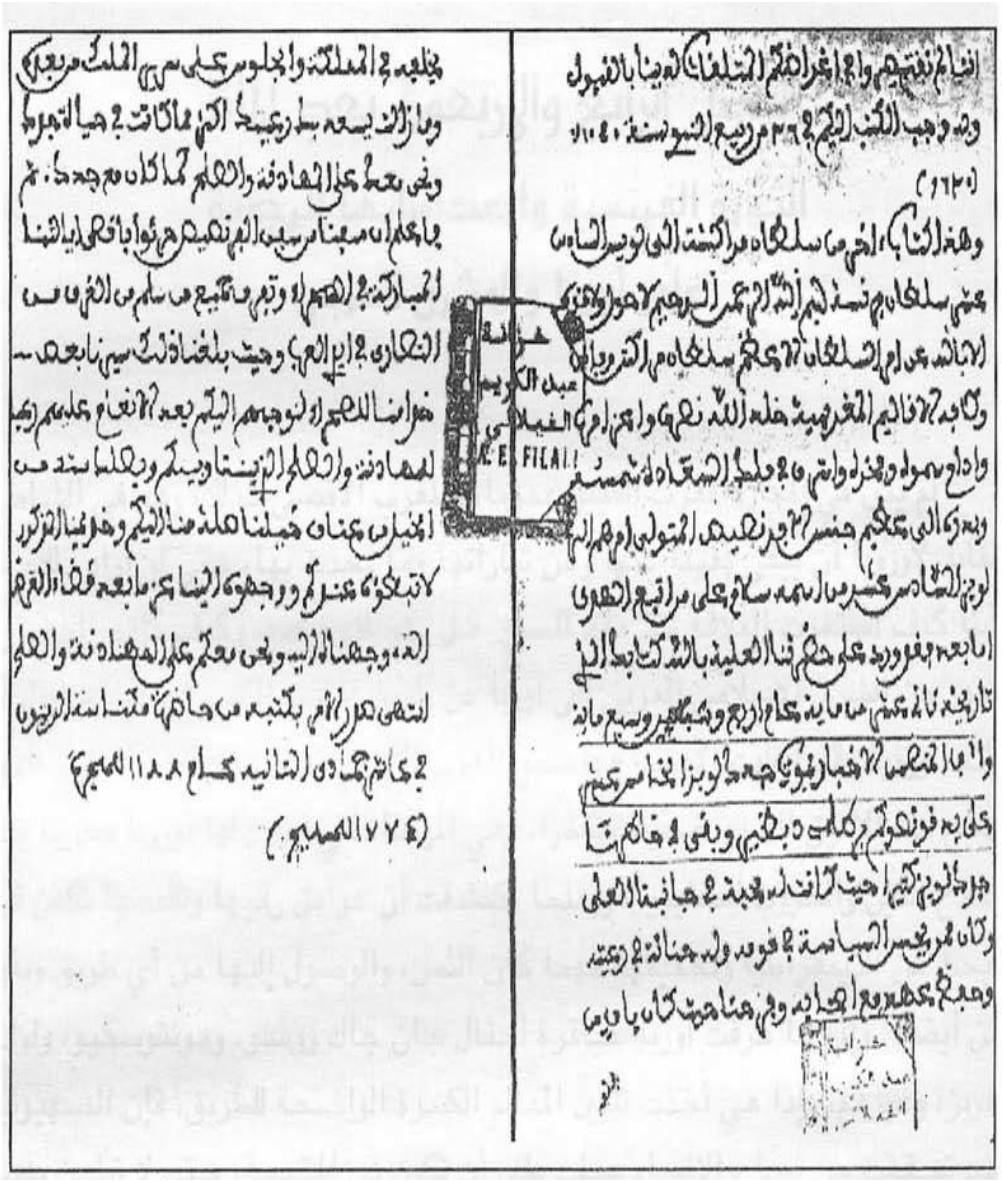

[311] -عبد الهادي التازي، **التاريخ الدبلوماسي**، المرجع السابق، ص359

قائمة المصادر و المراجع

أولا:المخطوطات.

– الزياني أبو القاسم ، **الروضة السليمانية في ذكر ملوك الدولة،** مؤسسة الملك عبد العزيز، دار البيضاء، دت.

– المراكشي أبو القاسم بن سليمان ، **الحلل البهيجة في فتح البريجة،** مخطوطة مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الرباط، د ت.

ثانيا:المصادر العربية والمعربة.

– التر عزيز سامح ، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر محمود علي عامر**، ط1، دار النهضة العربية، لبنان، 1980م

– **الريفي عبد الكريم بن موسى ،زهر الأكم مساهمة في تاريخ الدولة العلوية من النشأة إلى عهد المولى عبد الله بن المولى إسماعيل،** در و تح آسية بن عداده، د ط، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط،1992م.

– الزياني أبو القاسم ، **الترجمان الكبرى في أخبار المعمورة برّا وبحرّا**، تح عبد الكريم الفيلالي، د ط، المعارف الجديدة، الرباط، د ت،

– الزياني أبو القاسم أحمد ، **البستان الظريف في ذكر أولاد مولانا الشريف (من النشأة إلى نهاية سيدي محمد بن عبد الله)**، د وتح رشيد الزاوية، د ط، مركز الدارسات والبحوث العلوية الريصاني، المغرب،1992.

ـ الزياني ابو القاسم أحمد ، **الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب،** د ط، المطبعة الجمهورية، باريس،1886م.

– القادري محمد بن الطيب ، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني،** تح محمد حجي، أحمد التوفيق، ج3، ط1، مكتبة الطالب، الرباط،

– الكتاني محمد بن جعفر ، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء بفاس،** تح عبد الله الكامل الكتاني وأخرون،ج1، ط1، دار الثقافة، المغرب، 2004م.

- الكنسوسي أبي عبد الله محمد بن أحمد ، **الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي**،ج1، تق وتح و تع أحمد بن يوسف الكنسوسي، الرباط، 1965م

- المشرفي محمد بن محمد بن مصطفى ، **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعّد بعض مفاخرها غير المتناهية**، در و تح إدريس بوهليلة، ج2، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، د ت.

- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأُقصى للدولة العلوية**،ج7 ،ج8، تح و تق جعفر الناصري ومحمد الناصري، د ط، دار الكتاب، دار البيضاء، 1997.

ـ اليفرني محمد الصغير، **روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف**، تح عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكي، الرباط، 1995م.

- بن زيدان عبد الرحمان ، **إتحاف أعلام الناس بجمال حظيرة مكناس**،ج1، ج3، تح، علي عمر، ج1، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م.

- بن زيدان عبد الرحمان ، **الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلوين بفاس الزاهرة**، د ط، مكتبة السادة الأشراف، الرباط، 1937م.

- بن زيدان عبد الرحمان ، **العز و الصولة في معالم نظام الدولة**، ج1، المطبعة الملكية، الرباط،1961م.

- بن عبد الله العلوي محمد ، **مواهب المنان بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان**، صح أحمد العلوي عبد اللوي،د ط، فضالة، المغرب، 1996م.

- محمد الضعيف الرباطي، **تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)**، تح تع و تق أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط، المغرب 1986م.

- بن زيدان عبد الرحمان، **العلائق السياسية للدولة العلوية**، تق وتح عبد اللطيف الشاذلي،د ط، المطبعة الملكية، الرباط، 1992م.

- بن عبد الله محمد ، **مواهب المنان بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان**، صح أحمد العلوي عبد اللوي، د ط، وزارة الأّوقاف والشؤون الإسلامية، 1996م.
- الوزان محمد بن الحسن، **وصف إفريقيا**، تر محمد ججي ومحمد الأخضر،ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، 1983م.

ثالثا: المراجع:

- أكنوش عبد اللطيف ، **تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية بالمغرب**، د ط، افريقيا الشرق، دار البيضاء، د ت،.
- الأخضر محمد، **الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية(1664-1894)**، ط1، دار الرشاد الحديثة، دار البيضاء، 1977.
- الأرقش دلندة وآخرون، **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، دط، مركز النشر الجامعي ميدياكوم،2013،
- الأمين محمد محمد ، **محمد علي الرحماني، المغرب في تاريخ المغرب**، د ط، دار الكتاب، الدار البيضاء، د ت
- البزاز محمد الأمين ، **تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنن الثامن عشر والتاسع عشر**، دط، مطبعة النجاح، الرباط،1992م
- التازي عبد الهادي ، **جامع القرويين**، ج3، ط1، دار المعرفة، الرباط، 1972م
- التازي عبد الهادي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**، عهد العلوين المجلد التاسع، ج1، د ط، فضالة، المحمدية، 1988م.
- الجمل شوقي عطا الله، **عبد الله الرزاق ابراهيم، تاريخ أروبا من النهضة إلى الحرب الباردة**، د ط، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000م.
- السعود عبد العزيز ، **تطوان في القرن الثامن عشر(السلطة. المجتمع . الدين)**، ط1، منشورات جمعية تطوان، 2007م

- العقاد صلاح، **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر. تونس. المغرب الأقصى**،ط6، مكتبة الأنجلو المصرية 1993م

ـ الفيلالي عبد الكريم ، **التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير**، ج4، ط1، شركة ناس للطباعة، القاهرة، 2006م

ـ القبلي محمد ، **تاريخ المغرب تحيين وتركيب**، د ط، المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، د دن، د ت،

- المراكشي محمد بن محمد عبد الله ، **السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية**، تع أحمد متفكر، ط3، مؤسسة أفاق، مراكش،2011م.

- المريني عبد الحق ، **الجيش المغربي عبر التاريخ، ط3، دار النشر للمعرفة**، الرباط، 1997م.

- الهاشمي آسية ، **المجالس السلطانية على عهد الدولة العلوية الشريفة**، ج1، د ط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1996م.

- برادة ثريا ، **الجيش المغربي وتطوره**، د ط، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1997م

- بروفنصال ليفي ، **مؤرخو الشرفاء**، تر عبد القادر الخالدي، د ط، دار الغرب، الرباط، 1977م،.

- بروكلمان كارل ، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، تر نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي، دار العلم للملاين، بيروت،1974،

- بن الصغير خالد ، **المغرب وبريطانيا في القرن التاسع عشر(1856- 1886م)**، سلسلة رسائل وأطروحات 34، ط2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، د ت.

- بن عبد الله عبد العزيز ، **تاريخ المغرب العصر الحديث الفترة المعاصرة**، ج2، د ط، مكتبة السلام ومكتبة المعارف، الدار البيضاء، الرباط، د ت .

ـ بوركبة السعيد ، **دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية**، ج1، مطبعة فضالة، المغرب، 1996م.

- حركات ابراهيم ، المغرب **عبر التاريخ من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية،** ج3،ط2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1994،

- داهش محمد علي ، "**العلاقات المغربية العثمانية في العصر الحديث (1610م . 1830م)**"، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية

- رجورز، **تاريخ العلاقات المغربية الإنجليزية حتى عام 1900م**، تر و در و تع يونان لبيب رزق، ك1، دار الثقافة، دار البيضاء، 1981م

- رزوق محمد ، **دراسات في تاريخ المغرب**، ط1، إفريقيا الشرق، دار البضاء، 1990م.

- شوقي الجمل، **المغرب العربي الكبير(ليبيا . تونس . المغرب)**، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،1997.

- شوقي عطا الله الجمل، عبد الرزاق ابراهيم، **تاريخ اروربا من النهضة حتى الحرب الباردة**، د ط، المكتب المصري لتوزع المطبوعات، القاهرة، 2000م.

- عزباوى عبد الله محمد ، **العلاقات المغربية في عهد كل من مولاي محمد(1707م . 1790م) وابنه اليزيد(1790مـ1792م)**، دط، د دن، د ت.

- علي عامر محمود، وخير فارس محمد، **تاريخ المغرب العربي الحديث**" المغرب الأقصى ...ليبية"، د ط، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 1999- 2000م.

- غلاب عبد الكريم ، **قراءة جديدة في التاريخ المغرب العربي**، ج 3، ط1، دار الغرب الاسلامي بيروت ، 2005م،.

. كنون عبد الله ، **ذكريات مشاهير رجال المغرب**، ط1، دار ابن الحزم، بيروت 2010م،

- ياغي اسماعيل أحمد ، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي**، ط2، مكتبة العابيكان، د د ن، 1998م،

-كنون عبد الله، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ج1، ط2، د د ن، د ت.

مجهول، **تاريخ الحضارة الإسلامية في المغرب**،ط2، دار الثقافة، دار البيضاء، 1986م -

- ياغي أحمد اسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، د ط، مكتبة العبيكة، د مك، د ت.

المجلات والندوات

- البزاز محمد الأمين ، **الأزمة الغذائية في عهد سيدي محمد بن عبد الله خلال سنوات الأزمة (1776.1782م)**، أعمال الدورة الثالثة جامعة مولاي علي الشريف الخريفية مركز الدراسات العلوية، الريصاني، المغرب، ديسمبر 1991م.

- الدبيش عبد الوهاب ، "**تنظيم القضاء على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله**"، أعمال الدورة الثالثة، أعمال الدورة الثالثة جامعة مولاي علي علي الشريف الخريفية مركز الدراسات العلوية الريصاني، المغرب، ديسمبر 1991م.

- الزيدي محمد مفيد ، "**تطور التعليم في المغرب الأقصى في العهد العلوي(1664م . 1912م)**"، كلية الآداب جامعة بغداد، مركز التحقيقات كاستر، د ت.

- الصادقي العماري، "**الحركة الأدبية في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله**"، مجلة كلية والآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة الندوات والمناظرات والعلوم الإنسانية رقم 3،ع8، وجدة

- المستعين عبد الباسط ، "**أثر السياسة الخارجية للمخزن على المدينة المغربية خلال العصر الحديث**"، مجلة كان، ع24،المغرب، 2014م.

- المهناوي محمد ، "**السياسة العسكرية تأملات في الفكر الإصلاحي لسيدي محمد بن عبد الله**"، أعمال الدورة الثالثة جامعة مولاي علي الشريف الخريفية مركز الدراسات العلوية الريصاني، المغرب، ديسمبر 1991م.

- الوكيلي محمد التوهامي ، "المولى سيدي محمد الثالث"، **مجلة دعوة الحق**، ع 237، د ت، ص 30ون الإسلامية، 1996م،

– بادوا عبد الجليل ، "**التحول الفكري في عهد سيدي محمد بن عبد الله**"، أعمال الدورة الثالثة، أعمال الدورة الثالثة جامعة مولاي علي الشريف الخريفية مركز الدراسات العلوية الريصاني، المغرب، ديسمبر 1991م.

– بن الصديق محمد علي ، "**سيدي محمد المصلح المحدث**"، مجلة دعوة الحق،ع291، 1957م.

– جادة محمد ، "**الملاحة في اتفاقيات المغرب الدولية خلا النصف الثاني من القرن الثامن عشر**"، البحر في تاريخ المغرب، سلسلة ندوات رقم7 كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،جامعة مولاي حسن الثاني المحمدية

– حباني محمد ،"**سياسة بالأقاليم الصحراوية**"، أعمال الدورة الثالثة جامعة مولاي علي الشريف الخريفية مركز الدراسات العلوية الريصاني، المغرب، ديسمبر 1991م.

– حباني محمد ،،**سياسة بالأقاليم الصحراوية**، أعمال الدورة الثالثة جامعة مولاي علي الشريف الخريفية مركز الدراسات العلوية الريصاني، المغرب، ديسمبر 1991م.

– داهش محمد علي ، "**العلاقات المغربية العثمانية في العصر الحديث (1610م . 1830م)**، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الإجتماعية،د ط، د د ن، د م ن، د ت.

– رزوق محمد ، "**الجهاد البحري في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله**"، مجلة دعوة الحق، ع 274، 1989م

– روكي منير ، "**التجارة في المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر بين ميكانيزمات التجارة وحضور الأجنبي**"، مجلة الدارسات والبحوث الاجتماعية، ع 10، جامعة المحمدية، المغرب، 2015م،

– زهيدي مليكة ، "**تاريخ المغرب ومملكة السويد في زمن السلطان ومحمد بن عبد الله**"، **مجلة هسبيرس**،ع 2015،18م

– علمي أحمد ، "الإتجاه المذهبي للسلطان سيدي محمد بن عبد الله"، سلسلة الندوات رقم3، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع 8، وجدة، د ت

- مهداد الزبير،"**جهود السلطان محمد بن عبد الله في تنظيم مرافق الدولة وإصلاح العدالة**"، دعوة الحق، ع 345.

الرسائل الجامعية

- سهيل جمال ، **علاقات المغرب الدبلوماسية مع اسبانيا وفرنسا في عهد السلطان محمد بن عبد الله(1757- 1790م)**، أطروحة لنيل دكتوراه في التاريخ الجديث المعاصر،إشراف عمار بن خروف، جامعة الجزائر2، 2016-2017م.

- قايد بن عمر ، **علاقات المغرب الأقصى السياسية مع دول غرب أوروبا المتوسطية(فرنسا-اسبانيا)(1727-**1659م)، مذكرة شهادة الماجيسترتخصص تاريخ حديث، اشراف عمار بن خروف،معهد العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر 2011-2010م.

الموسوعات

- زبيب نجيب ، **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس**، تق أحمد بن سودة، ط1، دار الأمير، بيروت، لبان، 1990م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان

الإهداء

قائمة المختصرات

مقدمة ..... أ-هـ

الفصل الأول: ظروف تولية محمد بن عبد الله العلوي الحكم..... 7

المبحث الأول: أوضاع المغرب الأقصى قبل تولي محمد بن عبد الله الحكم..... 7

1- سياسيا 7

2- اقتصاديا واجتماعيا 15

3- ثقافيا..... 19

المبحث الثاني: تولية محمد بن عبد الله الحكم 21

1- مولده ونشأته 21

2-خلافته على مراكش 23

3- بيعته..... 27

الفصل الثاني: السياسة الداخلية للمولى محمد بن عبد الله..... 31

المبحث الأول: المجال العسكري..... 31

1- تنظيم الجيش..... 31

2-التصدي للحركات المعارضة..... 31

3-بناء الأسطول 34

4- تحصين وتحرير الثغور 42

المبحث الثاني: المجال الإداري والاقتصادي..... 44

1- المجال الإداري..... 44

2- الاقتصادي..... 47

2-1-الضرائب..... 48

2-2-الزراعة 49
2-3-التجارة..... 50
المبحث الثالث: المجال الثقافي..... 51
1- التعليم..... 51
1-1-تنظيم البرامج و المناهج..... 51
1-2- تشجيع حركة التأليف..... 52
1-3-المجالس العلمية..... 53
2- المجال الديني 54
3_ العمران..... 55
الفصل الثالث: السياسة الخارجية للسلطان محمد بن عبدالله العلوي..... 59
المبحث الأول: علاقاته مع الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية..... 59
1-العلاقات المغربية الإسبانية 59
2-علاقاته مع انجلترا وفرنسا..... 66
3-العلاقة مع السويد و الدانمارك..... 75
4-علاقاته مع الولايات المتحدة الأمريكية..... 79
المبحث الثاني: علاقاته مع الدول الإسلامية..... 80
1- علاقاته مع الدولة العثمانية 81
2-علاقاته مع إيالات الدولة العثمانية في شمال إفريقيا..... 83
خاتمة 87
الملاحق..... 90
قائمة البيبليوغرافيا..... 94
فهرس الموضوعات 104

ملخص

ملخص

يعتبر المولى محمد بن عبد الله من أهم الملوك الذين تعاقبوا على حكم الدولة العلوية إذ كان له دور كبير في المحافظة على بقائها واستمرارها، فقام بتوطيد الأمن وإرساء معالم الدولة من خلال تبنيه سياسة إصلاحية شاملة على المستويين الداخلي والخارجي ،مست جميع المجالات ،حيث قام بإعادة تنظيم الجيش وتقوية الأسطول لمواجهة التحديات الداخلية والخارجية ،واهتم بتطوير الاقتصاد مركزا على التجارة كمصدر أساسي لتموين الخزينة، كما اعتنى بالناحية الثقافية فأصلح التعليم ،وأعاد الأصول للعقيدة وخلد العديد من المأثر العمرانية وانتهج سياسة الانفتاح مع الدول فربط علاقات سلمية مع الدول الأوربية وعقد معها العديد من الاتفاقيات لأغراض سياسية وتجارية كما وثق علاقاته مع الدول الاسلامية.

Résumé

Mohammed bin Abdullah est considéré comme l'un des rois les plus importants qui ont gouverné l'Etat alaouite, où il a joué un rôle majeur dans la préservation de son existence et de sa continuité, en renforçant la sécurité et affermissant les fondations de l'état, et cela par une politique globale aux deux niveaux interne et externe touchant tous les domaines et par la réorganisation de l'armée et le renforcement de la flotte pour faire face aux défis internes et externes et développer l'économie en privilégiant le commerce comme source principale du trésor, prendre soin de l'aspect culturel, réformer l'éducation, rétablir la doctrine et réaliser de nombreux travaux architecturaux. Et il a suivi la politique d'ouverture aux pays dont il a fait des relations pacifiques avec les pays de l'Union Européenne et il a signé de nombreux accords avec eux pour des fins politiques et commerciales ainsi qu'il a authentifié ses relations avec les pays islamiques.